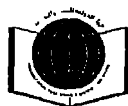
المراسل الصحفى ومصادر الأخبار

تأليف : هربرت سترنز

ترجمة : سميرة أبو سيف

الناشر



الدار الدولية للنشر والتوزيع

٣٨ ش الأهرام - روكسى

ص.ب : ٥٥٩٩ هليوبوليس غرب.القاهرة

ت : ٢٥٨٢٨٨٧

المراسل الصحفى
ومصادر الأخبار

الطبعة الأولى ١٩٨٨

أشرفت الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية بالقاهرة على ترجمة وإخراج هذه الطبعة من الكتاب . كما قامت بأعمال الجمع التصويرى وإعداد الأفلام .

The Egyptian Society for the Dissemination of Universal Culture and Knowledge (ESDUCK), Cairo, supervised the translation and production of this edition. Phototypesetting and films were done by ESDUCK.

صمم الغلاف/ محمد رشدى المنيرى

المحتويات

صفحة

مقدمة

هذا الكتاب يتعرض لما يدور قبل كتابة حكايات الأخبار أو الأحداث ، فقصة الخبر أو الحدث لا تتشكل منذ لحظة جلوس المراسل الصحفى أمام آلته الكاتبة ، أو أمام الميكروفون . . إذ أن حدود الخبر الذى يصل إلى الجمهور يكـون قد تم تقريره قبل كتابة الكلمة الأولى ، أو التصريح بها بفترة ليست قصيرة . فالمسألة ليست مسألة هدف مسبق ، أو قضاء وقدر ، بل هى مسألة كفاءة المراسل والأسلوب الذى يستخدمه فى جمع المعلومات .

واذا استطاع هذا الكتاب أن يجعل طالب قسم الصحافة ، أو المراسل ، أو متلقى الأخبار أكثر حساسية للفروق الدقيقة التى لا تكاد تُدرك لسلسلة العمليات المتعاقبة التى تتم فى أثناء عمل المراسل . . يكون قد أدى الغرض من إنجازه .

إن معظم المادة التى تتضمنها صفحات هذا الكتاب نتاج علاقات ناجحة مع زملاء فى جريدة فريزنو بى Fresno Bee بمدينة فريزنو ـ كاليفورنيا ، وفى الاسوشيتدبرس فى ألبانى ، نيويورك . . وفى فترة العمل الصيفية فى جريدة « مينيا بوليس تريبيون » . . كما أن معظمه يعكس العمل الممتع الذى قمت به مع الطلبة فى جامعات كنتاكى وداكوتا الشمالية وجامعة دريك .

وقد لا يظهر كل ذلك بوضوح ، ولكنى أتمنى أن يعكس هذا الكتاب بعض الآثـار الحسنـة التى نتجت من علاقتى بشخصيات مثـل كيرتس ماكدوجال وجورج جرونر وستيف آكر وتشار بارتا كفرنستون ، وجولى سميث ثورسون . . فقد كان د. ماكدوجال الأستاذ السابق فى جامعة نورثوسترن ــ

هو الرئيس الفخرى للحنة المشرفة على مناقشة رسالة الدكتوراه التى تقدمت بها ، كما كان جرونر مساعداً للمحرر المحلى لجريدة فريزنو بى عندما بدأت العمل هناك ، وقد علمنى الكثير من فنون التحرير وكتابة الخبر ، وهو الآن مدير للتحرير وواحد من « رباعى فريزنو » . أما ستيف وتشار وجولى ، فيمثلون فى هذا الكتاب مجموعة الطلبة الذين أسعدتنى وأفادتنى معرفتهم .

وقد ساعدتنى كثيراً الملاحظات التى أبداها جو باتريك الأستاذ بكلية الصحافة بجامعة دريك فى أثناء إعدادى لمخطوط هذا الكتاب ، كما قام تشارلز روز ــ بالجامعة نفسها ــ بكتابة الجزء الخاص بمصادر الأخبار والعلاقات العامة فى الفصل الخامس من الكتاب .

وإننى أهدى هذا الكتاب إلى زوجتى جوان وابنتينا تمارا ولورا مع اعتذارى لجوان لصبرها معى ومساعدتها لى فى إنجازه .

ولنوعية الموضوعات التى يتعرض لها الكتاب ، فمن الضرورى أن يبدو ضحلاً فى بعض المواقع ، وقد ذكرت فى نهاية كل فصل قائمة بما أنصح بقراءته ، والمراجع التى تستهدف مزيداً من العمق فى المعلومات المطلوبة عن موضوع كل فصل . . وكثير من الأسئلة تبقى بلا إجابات وذلك غالباً ما يرجع ــ من وجهة نظرى ــ إلى طبيعة السؤال . أما حلول المشكلات المتعلقة بمسئوليات الصحفى فى المجتمع والحماية الممنوحة له بمقتضى التعديل الأول لقانون الحريات فهى ليست سهلة . . وغيبة تلك الحلول السهلة أو الحاسمة على أية حال ، هو التحدى الذى يجعل من مهنة الصحافة مهنة مرموقة وجديرة بالعناء .

١

جمع الأخبار وقوة الصحافة

قد يكون هناك شىء مشترك بين المراسل الصحفى ومن يصيب شخصاً برصاصة وهو « لم يكن يعلم أن البندقية محشوة بالرصاص » . فحكايات الأخبار أحياناً تأخذ اتجاهاً غير متوقع ، أو تنتج عنها عواقب مفاجئة للمراسل نفسه ، تصدمه أو تؤلمه وتحزنه .

وهذا التناظر البسيط يمهد لنا الطريق للوصول إلى النقاط الأساسية التى يتكون منها هذا الفصل التمهيدى ، وهى :

(١) قوة الصحافة . . وترجمتها بالتقريب هى : القوة التى تشكل الآراء فتؤدى إلى التحرك فى الاتجاه المرغوب ـ ولا يجب تطبيق هذا المفهوم على المحررين فقط، بل يجب أن يشمل تصريحات أصحاب الأعمدة الثابتة والمعلقين وعملية تغطية الأنباء نفسها .

(٢) الطريقة التى يجمع المراسل الصحفى بها المعلومات عن حكاية حدث أو خبر معين قد تؤثر فى المصدر الذى أمده بالمعلومات ومفهومه للمشكلة المطروحة للبحث ـ كما أنها قطعاً تؤثر فى مضمون حكاية الخبر عند كتابتها .

(٣) عند اتخاذ قرار بتغطية حدث يستحق التغطية ، فالنتائج المحتمل وقوعها نتيجة لتلك التغطية بالنشر أو الاذاعة تكون من أقل العوامل تأثيراً على اتخاذ هذا القرار . . فنتائج نشر أية قصة غالباً ما تكون خارجة تماماً عن إرادة المراسل . أما مدى دقة الخبر ، وأهميته ، ومدى الامتاع الذى يمكن أن يثيره فى القارىء أو المشاهد ، فهذه هى العوامل التى تدخل فى حدود كفاءة المحررين والمراسلين ، وفيما يصدرونه من أحكام .

قوة الصحافة

تصدر جريدة ما ، ويتسبب مقالها الافتتاحى فى إخراج عمدة بلدة ما من وظيفته . . وتتسبب سلسلة من البرامج التليفزيونية عن سوء معاملة الأطفال فى إصدار تشريع جديد يلزم الأطباء بابلاغ الشرطة عن الحالات المشكوك فيها . . وترفض لجنة التخطيط الاستجابة إلى طلب باعادة تخطيط وتقسيم منطقة ما بعد نشر أخبار أثارت تساؤلات عن إسهام مستثمرى الأراضى فى تلك المنطقة فى حملة الدعاية الخاصة بعضو الكونجرس . . كل هذه أمثلة لسلطة الصحافة وقوتها . . أليس كذلك ؟ ! محتمل .

ثم ينشر مقال افتتاحى آخر . . وبالرغم من ذلك ، يعاد انتخاب صاحب المنصب الذى انتقد فى هذا المقال ـ كعمدة ـ وذلك بأغلبية ساحقة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ تلك المدينة . ويظهر برنامج تليفزيون مبرزاً أوجه النقص الصارخة فى سجن المدينة ، ليعقبه مباشرة فشل ذريع لمشروع قرار يكفل توافر بعض الخدمات الضرورية لهذا المكان نفسه . وتتحدد الخطوط الرئيسية للتخطيط السليم لمدينة ما بسلسلة من المقالات الصحفية القوية والمقنعة . .

وتطوى فى عالم النسيان بعد أسبوعين فقط من نشرها . والشىء المثير للعجب بالنسبة للمحررين والمراسلين من الأمثلة السابق ذكرها هى أن « البندقية المحشوة بالرصاص » لم تنطلق ، وأن تغطية الأحداث المدعومة بالمستندات والتى تتعلق بمشكلات اجتماعية لم تولد الاهتمام الكافى الذى كان يجب أن يعمل على إيجاد حلول لتلك المشكلات .

وفى اكتساح ساحق لم يسبق له مثيل لمجموعة من الجوائز الكبرى الممنوحة للمراسلين الصحفيين ، فاز جيمس ريسر بجريدة دى موينز ريجستر "Des Moines Register" سنة ١٩٧٦ بكل من جائزة بوليتزر وجائزة ريموند كلابر وورث بنجهام و سيجما دلتا تشى . كل هذه الجوائز كانت اعترافاً بامتيازه فى تغطية موضوع الفساد المرتبط بعملية تصدير الحبوب . وبالرغم من ذلك ، ففى محاضرة له فى جامعة دريك فى يونيه سنة ١٩٧٦ ، قدم ريسر ما يمكن تسميته « بتقييم متشائم إلى حد ما » للمجهودات المبذولة لاصلاح النظام المتبع فى فحص الحبوب :

> إن التشريع الخاص باصلاح أسلوب فحص الحبوب ، والذى أقره الكونجرس متوقف الآن ومعطل تماماً فى إحدى لجان مؤتمرات مجلس الشيوخ . . وبذلك تتعطل كل الاصلاحات بواسطة الأقوياء من أصحاب المصالح ، الذين يتحكمون فى تجارة الحبوب ، ويعارضون قوانين الاصلاح ، لأنها سوف تتعارض مع قدرتهم على الاستمرار فى تصرفاتهم الاجرامية . ويعمل على تعطيل تلك القوانين كذلك مجموعة من أعضاء الكونجرس الذين يضعون المشاكل التافهة المتعلقة ببعض الأبرشيات فوق المصالح القومية .
>
> وهذه المجموعة من رجال الكونجرس تحاول ــ بمناوراتها ــ حماية الهيئات الخاصة التابعة لولاياتهم والتى تقوم بعمليات الكشف على الحبوب ــ بدلاً من النظر إلى الموضوع على المستوى القومى ،

وما قد تسببه مثل هذه الفضيحة من إفساد لمظهر صناعة الغلال ولصورة الولايات المتحدة الأمريكية كمصدِّر لها إلى جميع أنحاء العالم .

ووزارة الزراعة ، نظراً لعلاقتها الوطيدة القائمة بمصانع الغلال الكبرى لا تعرض مساعداتها إطلاقاً ، بل إنها فى الواقع قد زادت الأمور تعقيداً برفضها الاعتراف بأن هناك حاجة ملحة لأية إصلاحات جوهرية ' .

ومثل هذه الحالات تجعل المراسلين يشعرون وكأنهم يتحدثون إلى أنفسهم ، كما تتسبب فى أن يضحك المحررون ضحكات خافتة ساخرة فى داخلهم عندما يسمعون الاشارة إليهم بصفتهم ضمن أقوى رجال المجتمع .

وقليل من يستطيع أن ينكر أن الأخبار المنشورة تستطيع أن تشكل الأحداث من خلال ما ينشر فى أعمدة الأخبار الثابتة ، أو ما تؤيده المقالات الرئيسية فى الصحف . ولكن عقب ذلك النجاح ، يمكن تشبيه حال المراسلين والصحفيين كمن تسلم خطاب تهنئة مع شيك بمبلغ خمسين دولاراً فى بريد الصباح . . فقد يشعر عندئذ بشعور طيب ، شعور بأن هناك شيئاً متميزاً قد حدث . . ولكنه أيضاً قد يترك فى نفسه شيئاً من الاضطراب . . فمن المستحسن أن يفهم الإنسان السبب الذى من أجله يكرَّم ، حتى يستطيع ــ إذا سنحت له الفرصة مستقبلاً ــ أن يقوم بعمل مشابه .

ومن أسباب الخلط فى مفهوم قوة الصحافة ، أننا قد ننظر إلى عملية متابعة الأخبار نظرة سطحية أكثر من اللازم . فقد يحدث شىء ما عقب نشر مقال معين ، فيقال عندئذ أنه حدث بسبب نشر المقال . فالمشكلة مركبة ، لأن تقييم الإعلام على أنه مرآة لمجتمع ما أكثر منه رؤية مستقبلية أو نبؤة ليس تقييماً واسع الانتشار . فإذا بدت وسيلة الإعلام ، وكان لها قدرة على التنبؤ بالأحداث ، فهذا قد يكون راجعاً إلى صدق تسجيلها للاتجاه الذى يتحرك فيه المجتمع نفسه .

المراسل كوسيط

إذا أردنا أن نقيم تأثير الأخبار فى مجتمعنا ، فيجب أن ندرك أن الصحافة تستطيع ــ وكثيراً ما يحدث هذا ــ أن يكون لها تأثير حتى لو لم يتم نشر الخبر ، سواء فى نشرة مقروءة أو مكتوبة فى الأعمدة أو المقالات الرئيسية . فمجرد تجول المراسل الصحفى فى أثناء تأدية عمله ، وحديثه مع مصادر الأخبار ، وجمعه للمعلومات . . فهو بكل هذا يمارس نوعاً من « السلطة » . وقد يصبح وسيطاً بين مصادر الأخبار ، بالضبط كما يحدث بالنسبة لدوره المألوف كوسيط بين مصادر الأخبار والجمهور المتلقى لها .

قد يكون دور الوسيط مألوفاً وأكثر وضوحاً فى المجتمعات الصغيرة ، حيث يقابل المراسل أو المحرر يومياً مصادر جديدة للأخبار فى مناسبات اجتماعية ودينية ومهنية . . وبذلك قد يشكِّل المحرر فى مدينة صغيرة قوة فى ذلك المجتمع للحوار المستمر بينه وبين قادة المجتمع حتى لو لم يتم نشر ما يدور فى تلك الحوارات مطلقاً . ومثل ذلك التصرف يتم كذلك فى المدن الكبيرة فتدور الحوارات بين المحرر أو المراسل الصحفى ومن بأيديهم اتخاذ القرارات الهامة ، وينقل بذلك الأفكار من واحد إلى آخر ، حتى إنه قد يجرى حوارات مع المؤسسات الحكومية أكثر من الحوارات التى تدور بين تلك المؤسسات وبعضها البعض .

فالمؤسسات الحكومية فى مدينة أو ولاية أو إقليم ما ، أو حتى على المستوى الفيدرالى ، تتعمد فى بعض الأحيان التصرف باستقلالية كاملة ، حتى لو كانوا يزعمون أن تصرفهم هذا من أجل هدف واحد هو مصلحة دافع الضرائب . فتبدأ بذلك مشروعات ضخمة لتطوير الطرق السريعة فى ولاية كنتاكى مثلاً بلا أدنى تقدير ، أو اهتمام بالنظم المستخدمة فى الولايات المجاورة مثل إلينوى ، إنديانا ، أوهايو ، غرب فرجينيا ، فرجينيا ، تنيسى ، ميسورى . أو على مستوى أقل من هذا ، فقد يفكر مسئولو التخطيط للمدن فى مدينة

بيكــرزفيلد ، بكـاليفـورنيا فى تطوير مدينتهم بلا أدنى اعتبـار لما يخطط له المسئـولون عن التخطيط فى كيرن كَوْنتى من تقسيم للمناطق الملاصقة تماماً لحدود مدينة بيكرزفيلد .

والطريقة التى يوجّه بها أى سبق صحفى قد تكون فى بعض الأحيان أكثر منطقية من الطريقة التى تعمل بها بعض المؤسسات الحكومية . . فمن الجائز أن يكـون المسئـول عن التخطيط فى مدينة بيكرزفيلد هو نفسه المسئول عن المقـاطعة كلها . . وفى هذه الحالة يدور حوار بين القائمين على التخطيط ــ ولـو من خلال المـراسلين ــ وعنـدئذ قد يتم اكتشاف التناقضات الموجودة ، وتُنـاقَش وقـد يتم حلها . . ولا ينشر أية خبر عنها . والمراسل الصحفى قد لا يكون على علم بوجود تلك التناقضات ، ولكنه بمجرد توقفه فى أحد الأيام عند دار القضاء مثلاً ، وإجراء حوار مع بعض المشتركين فى تخطيط المقاطعة ، يتبادل معهم بعض المعلومات الضرورية والتى تستفيد منها المقاطعة كلها عند إجراء تطوير بارع فى الحدود الفاصلة بين تلك المقاطعة والمدينة .

والخطة الافتراضية للطريق السريع فى مدينة كنتاكى تعطينا صورة أخرى لدور المـراسل كوسيط . فالمراسل الصحفى لجريدة « لويزفيل كورير جورنال » Louisville Courier-Journal يجب أن يدرك أن كل ما يرويه عن الــطرق السريعة فى كنتاكى من الضرورى أن يراعى فيه الطرق السريعة الموجودة فى الولايات المجاورة . . وهنا أيضاً قد يصبح وسيطاً . . ويصير لمجهوداته تأثير ، وذلك بإثارته مزيداً من الوعى بالتخطيط الاقليمى بين العاملين فى هذا المجال حتى قبل الكتابة فى هذا الموضوع .

وبعد ما سبق ذكره من أمثلة يبرز سؤال من الجائز أن يكون قد مر بخاطر القارىء . . وهو : كيف يمكن التفرقة بين دور المراسل كوسيط فى موضوع ما ودوره « كفـاعـل خير » ؟ فإننـا عندما نتحدث عن نفوذ معين قد يمارسه مراسل صحفى بدون أن يقوم بكتابة أو نشر أى خبر جديد ، تتضح الخطوة

التالية ويفسر دور المراسل على أنه « القيام بحل المشاكل الاجتماعية » . . فإذا كان باستطاعة المراسل الصحفى أن يحل المواقف الصعبة بدون كتابة . . فلماذا لا يفعل ؟ ويبدو ذلك الدور مغرياً للأسباب الثلاثة الآتية على الأقل :

(١) قد يقرر المراسل أن الهدف الأسمى لعمله هو التغير الاجتماعى فى الاتجاه المرغوب . . فإذا كان من الممكن الاعتماد على جمهور من المدركين لما يدور فى القيام بالتغيير المطلوب ، فهذا سوف يستغرق وقتاً أطول بكثير مما لو عمل المراسل نفسه « كبديل للجمهور » . . وقام بالتغيير المطلوب ، بغير حاجة إلى كتابة القصص الاخبارية بين حين وآخر .

(٢) تتملك المراسل مشاعر عنيفة تصاحب وجوده فى مركز القوة ــ سواء كان هذا المركز فى بساطة لجنة لتخطيط حدود مدينة ما ، أو فى ضخامة وخطورة مركز وزير الدولة فى الولايات المتحدة الأمريكية . فعندما يصبح الإنسان مؤتمناً على أسرار الناس الذين يمارسون هذه السلطة بنجاح فإنه يسهل عليه فهم مشاكلهم ، وبالتالى التعاون معهم ، وارتباطه بفريقهم ، واستمتاعه بدور الوسيط بين مراكز السلطة المختلفة .

(٣) معظم مصادر الأخبار تؤمن ــ سواء عن حق أو عن غير حق ــ بأنهم يتفهمون « الصورة الإجمالية الكاملة » أكثر من غيرهم . وقد يعبرون عن تخوفهم من تداخل « قوة الصحافة » بطريقة خرقاء تفسد كل مشروعاتهم العظيمة . . فنشر قصة غير صحيحة فى مكان ، وقول فى غير موضعه فى مكان آخر ، . قد يؤدى إلى أن يقضى المراسل على برنامج له من إمكانيات الاصلاح فى المجتمع الشىء الكثير . . فالمراسل الذى يشعر أن المعلومات التى توصل إليها غير سليمة ، وأنه لا يمكن أن يتحمل مسئولية « الأذى الكبير » الذى قد ينتج فى المجتمع عن نشر ما لديه من قصص إخبارية ، يصل بذلك إلى قراره بأن عدم نشر الموضوع أفضل لجميع الأطراف .

وفى المناقشات البسيطة التى تدور داخل الفصول الدراسية ، نرى بوضوح مدى الاستعداد الذى يبديه الصحفيون الشبان لأن يقوموا بدور « الأستاذ مصلح » أو « الأستاذة مصلحة » . فمثلاً فى حالة مناقشة مشكلة ما تتطلب من الصحفى عدم النشر للسببين الآتيين : (١) قد ينتج عن النشر إلحاق ضرر بشخص ما . (٢) إمكانية حل المشكلة بدون عملية التشهير التى قد تصاحب نشر القصة . وفى معظم الحالات يصل الطالب إلى قراره بعدم كتابة الموضوع .

تِبعات ونتائج القصص الاخبارية

المشكلة : جيمس هيننجز بائع مفروشات عمره ٣٢ سنة ، تم القبض عليه منذ عشرة أيام بتهمة السرقة . ونشرت الجريدة قصة عن عملية إلقاء القبض عليه ، والآن سقطت عنه التهمة ، ومطلوب قصة أخرى تبرر ما حدث . . ولكن زوجته تتصل تليفونياً بمكتب الجريدة قائلة : « هل من الضرورى نشر قصة أخرى ؟ لقد تسبب نشر القصة الأولى عن السرقة وعملية القبض فى إثارة مدير جيمس واستياءه الشديد . . والآن قد هدأت ثورته ، وهو على استعداد لأن يعيد جيم إلى وظيفته ، بشرط ألا يتم نشر شىء آخر عن هذا الموضوع . . فإذا نشرت خبراً جديداً عن سقوط التهمة ، فسيتم تفجير الموضوع مرة أخرى ، ويطرد جيم من وظيفته نتيجة لذلك . . ونحن لا نستطيع أن نتحمل فقدانه لوظيفته . . لقد تعب جيم كثيراً فى عمله . . فأرجوك . . لا تنشر مزيداً من القصص » . بماذا ترد على هذه الزوجة ؟

والرد المألوف من الدارسين هو : الحصول على رقم تليفون مدير جيم حتى يستطيع المراسل الاتصال به ، ومحاولة تحسين وضع جيم فى العمل .

حل مقترح آخر هو عمل التحريات اللازمة عن الموضوع ومعرفة الأسباب التى دعت إلى القبض على الموظف ، والعوامل التى أدت إلى الإفراج عنه

وإسقاط الدعوى . . فإذا تأكدت براءة جيم ، فلا ينشر شيء عن الموضوع ، أما إذا ظهر ما يريب ، عندئذ تنشر القصة .

وقد لا يخطر على بال أحد من الطلبة أن الزوجة قد تكون كاذبة فيما تقول ، أو حتى إذا كانت فعلاً كاذبة ، وكان جيم فعلاً مذنباً ــ فإن كل هذه الاعتبارات لا علاقة لها باتخاذ القرار الخاص بنشر القصة . . وقد لا يخطر على بال الكثيرين أن مجرد مكالمة تليفونية لذلك المدير الذى يخجل من الدعاية قد تكون هى العامل الذى يقنع ذلك المدير بأن هيننجز كان يجب أن يفصل فور إلقاء القبض عليه .

فإذا نشرت الجريدة قصة عن عملية القبض على جيمس ، فيجب أن تنشر كذلك القصة الكاملة لسقوط التهمة عنه . . فهناك مسئولية تجاه القارىء ــ وحتى تجاه عائلة هيننجز نفسها ، تستلزم نشر تلك القصة . إن النتائج المحتملة من عدم نشر الجزء الثانى من القصة تتضمن ما قد يدور من تساؤلات فى نفوس القراء . . تساؤلات تتعلق بموعد تقديم هيننجز للمحاكمة مثلاً . . كما أن هناك احتمال آخر وهو وقوع مراسل آخر فى خطأ ــ فى المستقبل ــ أثناء بحثه فى موضوع آخر مرتبط بشخصية هيننجز فيعثر على الأجزاء الخاصة بعملية القبض التى تمت فقط . وهذه الاحتمالات ــ على أقل تقدير ــ لها من الضرر ما يتساوى مع الضرر الذى يراه المدير فى نشر قصة سقوط الدعوى عن مرؤوسه .

والحقيقة المحزنة هى أنه ليست هناك قصة لخبر لا يحتمل أن تتسبب فى إلحاق الأذى بشخص ما . . فإذا حذفنا من جريدة ما أو نشرة أخبار خبراً قد يتسبب نشره فى نتائج مؤلمة غير مقصودة ، قد تتحول الجريدة إلى جريدة خاوية أو يصبح زمن إذاعة نشرة الأخبار صامتاً .

ولو تصفحنا جريدة ما بحثاً عن أخبار « غير ضارة » ، فمن الممكن أن نعثر على الكثير الذى يبدو « غير ضار » ، مثل : نعى رجل بلغ الخامسة

والسبعين من العمر . . وخبر عن إعلان خطبة بين شاب وشابة ، تمهيداً لزواجهما . . ثم خبر آخر عن الاجراءات النهائية لاستقبال ملكة الجمال ، ثم خبر عن اجتماع مجلس المدينة فى السابعة من مساء اليوم التالى . فيما يتعلق بالنعى ، فقد يثير هذا الخبر أزمة فى العائلة بسبب ترتيب ذكر أسماء الأبناء . . أو عند ذكر اسم أحدهم على الاطلاق ، إذ « أننا نعلم جميعاً شعور والدنا نحوه ! » أما البند الخاص باعلان نبأ الخطبة ، فقد يكون مفاجأة لوالدى الشاب أو الشابة ، أو لمحب لتلك الفتاة ، يشعر فجأة أنه مرفوض . . وخبر الاجراءات النهائية لاستقبال الملكة قد يصيب بعض من كن مرشحات لهذا اللقب بالاحباط وجرح الكرامة . . وحتى الخبر الخاص باجتماع مجلس المدينة قد يثير شكوك زوجة ما تجاه زوجها الذى يكون قد أخبرها بأنه لن يستطيع العودة لتناول الطعام معها ، لأن اجتماع المجلس سوف يبدأ من الساعة الرابعة ، وقد يستمر حتى منتصف الليل .

مبالغة ؟ جائز . . ولكن فلنأخذ فى الاعتبار محرر جريدة فى مدينة ما يتلقى مكالمة تليفونية من سيدة تشكو من قصة نشرت فى الصفحة الأولى عن شاب (٢١ سنة) قتل شقيقه (١٩ سنة) بسكين فى أثناء مشادة عائلية ، وأصاب أمه عندما حاولت منع الاعتداء الذى تم فى مطبخها . . والسيدة الشاكية هى الأم التى تماثلت للشفاء من إصابتها لتتقدم بشكواها . . فقد جاء فى القصة الاخبارية المنشورة أن الابن المصاب إصابة قاتلة ووالدته قد نقلا إلى مستشفى حكومى ، فى حين أن الذى حدث فعلاً أنهما نقلا إلى مستشفى خاص . . وهى لم تكن ترغب أن يظن القراء أنهم فقراء إلى الحد الذى يحتم نقلهم إلى هذا المستشفى المجانى !

من الممكن تفسير هذه الشكوى غير المتوقعة بأن مصدرها أم مصدومة ، تحطم عالمها فجأة بجريمة قتل تمت فى مطبخها (بالاضافة إلى أن اسم المستشفى المذكور لم يكن الاسم الصحيح) .

والأمر الواقع أن المراسل لا يمكنه أن يتكهن بكل نتائج ما يقدم من أخبار ، ولكن هذا لا يعنى ترحيباً بأسلوب غير مسئول وغير واف فى تغطية الأخبار ، فالمهم هو أن الجمهور يتلقى أفضل الخدمات إذا كان القرار بنشر الخبر أو عدم نشره يتوقف على أهميته ، ودقته ومدى اهتمام الجمهور به .

الأسلوب المتبع فى جمع الأخبار

يتضمن ملخص المناقشة الخاصة بقوة الصحافة ، ودور المراسل الصحفى كوسيط وكذلك نتائج وتبعات القصص الاخبارية على أقل تقدير ــ على ما يلى : إنه من المفيد ــ بل قد يكون أمراً ضرورياً ــ للمراسلين ودارسى هذا الفن أن يدركوا مدى دقة وديناميكية الخطوات المتبعة فى عملية جمع الأخبار .

ويصبح المراسل الصحفى أكثر كفاءة ، كما يتلقى الجمهور أفضل المعلومات إذا أدرك المراسل الآتى : (١) أن الطريقة التى يتبعها فى جمع الأخبار هى التى تحدد ما يصل منها للجمهور فى النهاية . (٢) حتى لو لم تصل بعض المعلومات إلى الجمهور ، فالمراسل الصحفى قد يكون له تأثير فى توجيه السياسة العامة ــ عن طريق ممارسته بعضاً من سلطات الصحافة ــ بمجرد إجرائه بعض الحوارات مع أناس فى مراكز السلطة ، وبذلك يقوم بدور الوسيط بين مصادر الأخبار المختلفة .

والتحدى الذى يواجه المراسل عند قيامه بدور الوسيط هو تحد ذو شقين : الأول : يجب عليه أن يقاوم بشدة الاغراء الذى يتعرض له بأن يصير جزءاً من الأحداث الجارية على حساب مسئوليته تجاه الجمهور . الثانى : يجب عليه أن يدرك أن اختياره لمصادر الأخبار ، ونوعية الأسئلة التى يطرحها لن يكون تأثيرها مقصوراً على القصة وحدها ، ولكنها قد تشكّل مضمون المشكلة التى يتعرض لها فى تحقيقه الاخبارى .

إن نتـائج ما يفعله وما يكتبه المراسل قد لا يكون متعمداً ــ وفى معظم الأحيان يكـون غير ملحوظ ، وفى بعض الأحيان يمكن التكهن بحدوثه ــ ولكنها حقائق وتشكل جزءاً من قوة الصحافة .

مطـالعـات مقتـرحة

Cater, Douglass. *The Fourth Branch of Government.* New York. Vintage, 1959.

Cohen, Bernard *The Press and Foreign Policy.* Princeton.Princeton University Press, 1963.

Liebling, A. J. *The Press.* New York Ballantine Books, 1964.

Reston, James. *The Artillery of the Press.* New York: Harper & Row, 1967.

Rivers, William L. *The Adversaries.* Boston: Beacon Press, 1970.

Sigal, Leon V. *Reporters and Officials: The Organization and Politics of Newsmaking.* Lexington, Mass; D. C. Heath and Company, 1973. See section on references, pp. 201-12.

٢

المآزق والأخطاء المضحكة التى يتوقعها المراسل

فى المسلسل التليفزيونى البوليسى « المصيدة » Dragnet ، أدى جاك وب دور الضابط جو فرايداى الذى يبحث عن « الحقائق فقط » . . وتم القبض على مئات المجرمين ، كما تم التوصل إلى حل العديد من الجرائم نتيجة لاصراره على « الحقائق فقط ياسيدتى » . وهى الجملة التى ترددت مراراً فى جميع الحلقات ، حتى أصبحت تتردد على مستوى الدولة .

وبالرغم من نجاح هذا الأسلوب مع جو فرايداى ، فإن أى مراسل صحفى يضلل نفسه وجمهوره إذا ظن أن هناك باستمرار مجموعة من المعلومات التى يمكن أن تشكل « الحقائق فقط ياسيدتى » ـ حقائق لا تتأثر بالمدركات الحسية للمشاهد . . فكل من الجمهور والمراسل من الممكن أن تقدَّم لهم خدمات أفضل لو روعيت النقاط التالية :

(١) رؤية الحدث الواحد تختلف من شخص آخر .

(٢) الشخص الواحد ممكن أن يروى الحدث الواحد نفسه بطريقة مختلفة باختلاف جمهوره .

(٣) إن طبيعة تسلسل عملية جمع الأخبار غالباً ما تحدِّد الطريقة التى تتم بها صياغة « الحقائق » . . وهنا تظهر أهمية : (أ) تعريف ما هى الأخبار . (ب) الطبيعة المنطقية للأخبار . (جـ) الحكم المسبق على ما يستحق النشر من الأخبار .

والصفحات التالية من هذا الفصل هى خلاصة مجهودات تقدم للقارىء تقييماً للأحداث المكِّونة للأخبار ، كما يجدها المراسل ، مع بعض التفهم للظروف التى تتحكم فيما يقدمه المراسل الصحفى .

مدركات مختلفة لمراقبين متنوعين

إن الاستخدام المألوف لأسطورة مجموعة العميان والفيل لتصوير كيف يختلف البشر فى حكمهم على الأمور ممكن فهمه بسهولة . فقد تذكُر كيف تحسس الرجل الأعمى سيقان الفيل وشبَّه الحيوان بالشجرة ، فى حين شعر آخر بأنها تشبه الحائط ، وتحسس ثالث أذنى الفيل وشبَّهها بالمروحة . . وكان الناب أشبه بالحَرْبة لمن تحسَّسه . . أما من تحسَّس الخرطوم فقد أدرك أنه أشبه ما يكون بالثعبان . . ولكل من هؤلاء كان هناك قدْر من الحقيقة ، ولكن للأسف كل تلك التفصيلات السابقة لايمكن أن يتكون منها « فيل واحد » !

وهذه الأسطورة مفيدة ، وغير ضارة . . مفيدة لأنها توضح نقطة . . وغير ضارة لأنها لا تثير رد الفعل العاطفى الذى قد يحدث إذا أوحينا ــ مجرد إيحاء ــ بأن البشر قد يختلفون فى مفهوم الله مثلاً . . أو الحزب الجمهورى . . أو الأم . . أو فطيرة التفاح .

ومما يجعل مهمة المراسل الصحفى صعبة أن مصادر الأخبار فى المعتاد لا تتعمد خداعه أو تضليله ، لا هو ولا جمهور وسيلة الإعلام . . فكما يحدث فى الأسطورة ، هم يعبِّرون بأمانة ـ من وجهة نظرهم ـ عن مدركاتهم بدقة شديدة . فكون هذه التفسيرات قد تختلف من الصباح الباكر إلى فترة الظهيرة ، أو من مراسل إلى آخر ، فهذا لا يحدث عادة نتيجة لأى نوع من المؤامرات ، أو بتعمد المقصود به تضليل المراسل لجمهوره .

فللناس اهتمامات راسخة وثابتة ، وهذه الاهتمامات تؤثر فى رؤيتهم للعالم . الرجل الذى يعارض المحاولات الجادة لإدماج العناصر المختلفة ـ ملونين وغير ملونين فى المدارس ـ ليس بالضرورة قمة فى الشر . وكذلك لا يمكن أن توصف بالسذاجة تلك المرأة التى تعارض التعديل الخاص بالمساواة فى الحقوق . وكذلك رجل السياسة ، لا يشترط أن يكون اشتراكياً ساذجاً ليؤمن بمبدأ الحد من التسليح أو بالوفاق الأمريكى الروسى (فمعظم القراء ـ مثل المؤلف ـ قد يشعرون بإغراء باضافة عبارة « ولكنه قد يكون عاملاً مساعداً » بعد بعض التصريحات السابقة كمحاولة لمزيد من تعزيز للنقطة التى نحاول إبرازها) .

وقد يكون من المفيد فى بعض الأحيان أن نشبه مصادر الأخبار أو أصحاب المصالح مجازاً بمن لديهم « رايات » يلوحون بها . . والمكتوب على تلك الرايات يعبر عن نظرتهم للعالم . . فأعضاء مجلس الإدارة فى مدرسة ما مثلاً لديهم راية مكتوب عليها « من أجل الأطفال » . وعندما يسأل المراسل عن السبب الذى من أجله تصرف مجلس الإدارة تصرفاً معيناً ، ينشر أعضاء المجلس الراية معلنين « لقد فعلنا ذلك من أجل الأطفال » ! واتحادات العمال لديها راية مكتوب عليها : « من أجل العمال » . . والرئيس السابق نيكسون كانت رايته تحمل عبارة « من أجل الأمن القومى » . . أو « من أجل الرئاسة » . . ومعظم رايات مجالس المدن مكتوب عليها « من أجل المجتمع » . أما فرقة الكشافة

فتعمل « من أجل الله والوطن » . (وبالطبع فالصحفى يعمل كل شىء « من أجل حق الجمهور فى أن يعلم » . . ولكن هذه قصة أخرى) . فالمراسل الذى يقوم باستطلاع أخبار عن لجان مدرسية ، أو نقابات أو مجالس مدن ، ولا يأخذ فى اعتباره اهتمامات مصدر أخباره واتجاهاته ، قد يشعر بتضليل ذلك المصدر له أو عدم صدقه ، وذلك عندما يقابل مصادر أخرى للأخبار يكون لديها أخبار صحيحة ومقنعة ، ولكنها معارضة للآراء السابقة .

وبين آن وآخر قد نلتقى بأناس على مستوى خلقى رفيع يقولون : « لقد كذب علينا جون . . لذلك لن نثق به مرة أخرى ». أو : « إذا كذبت علىّ ولو مرة واحدة ، فلن أثق بك أبداً » . وعدد قليل جداً من المراسلين يستطيع أن يتعامل على هذ المستوى ، لأنه إذا فعل ففى خلال شهر واحد لن يجد من يتحدث إليه ، وبذلك يصبح بلا فائدة لرؤسائه وللجمهور كذلك . فهناك منطقة غير محددة تفصل بين « الأكاذيب » . . و « الملاحظات المُغرضة » . . وكل منهما ممكن أن تضلل كل من المراسل غير الحريص ، والجمهور المتلقى للأخبار والواثق من صدقها .

وإذا أراد المراسل أن يحافظ على نظرته للأمور وفقاً لعلاقاتها الصحيحة ، مع الحفاظ على جزء من قدرته على إفادة الجمهور ورؤسائه فيجب عليه أن يدرك أن مصادر الأخبار التى قد تضلله ، لا تتعمد ذلك دائماً . . فالخبر الذى يصل إلى الجمهور يحقق الهدف من نشره مئات المرات يومياً : عن طريق المحرر الدقيق ، الذى يصر على التحقق من صحة كل خبر مثل عنوان أُعطى لرجال الشرطة مثلاً ، وذلك بمراجعته على دليل التليفونات ، أو دليل المدينة ، أو أية مصدر موثوق به ، وكذلك عن طريق المراسل الحريص الذى يلجأ إلى القواميس لكتابة كل كلمة بطريقة سليمة ، حتى لو تطوع زميل بهجائها له حرفاً حرفاً . . أو بواسطة مراسلين يدركون تماماً أن تفسير محامى الدفاع فى قضية ما لحكم القاضى قد يخالف تفسير محامى الادعاء . . فمن السهل إبراز

حقيقـة أن الأشخـاص المختلفين يرون الحدث الواحد بصور مختلفة وقد سجَّل والترليبهان فى مقاله عن الطباعة ملاحظته قائلاً : « فى معظم الأحيان ، نحن لا نرى أولاً ثم نعرِّف مشاهـداتنا ، ولكننا نعرف أولاً ثم نرى »[1] . وتفسـير ذلـك ببسـاطـة أننـا غالبـاً ما نرى ما نريد رؤيته ، ونسمع ما نريد سماعه .

تفسيرات مختلفة لجماهير مختلفة

فى الوقت الذى يبدو فيه أنه من السهل الوصول إلى هذا السلوك ــ على الأقـل بالنسبـة للآخرين ــ فقد لا تتوافر لدينا الحساسية الكافية لإدراك أن الشخص نفسه قد يكتب عن الحدث نفسه بشكل مختلف باختياره ، معتمداً فى هذا على الجمهور الذى يتعامل معه . إن هذا يضيف تعقيدات أكثر لعمل المراسل الصحفى الذى يجب أن يدعم رأيه ــ ليس فقط بمختلف التقارير الصـادرة من مختلف الأشخـاص ــ ولكن بمختلف التقـارير الصـادرة من شخص واحد ؛ وفيما يلى مثلان لمثل هذا التصرف :

(١) طالبة بمدرسة ثانوية مدعوة لحضور حفل راقص ، قد تختار الطريقة التى تخبر بها أناساً مختلفين عن هذا الحدث ، بأساليب مختلفة . فمع زملاء الدراسة ، قد تناقش موضوع الدعوة والداعى معتمدة على ما تتمتع به هى وهذا الشاب من شعبية ، وعلى كون المتحدث إليها سوف يشترك فى الحفل أم لا . . وكذلك إذا كانت ترغب فى مصاحبة شخص آخر إلى ذلك الحفل غير الشخص الذى دعاها . . وإذا كانت هذه المعلومة معروفة لدى الآخرين . أما مع والديها فقد تبرز مميزات أخرى بالتحدث عن أخلاق الداعى ، وحسن تربيته ومركزه إلى الوالدة مثلاً ، وتبرز قدرته المتميزة على قيادة السيارة للوالد . ومـع تجميع كل الصفات التى أضفتها عليه يتكوَّن لدينا خليط من روبرت

ردفورد وبيلى جراهام وأ. ج. فويت ، ويبدو بذلك مظهر صاحب الدعوة فى دقة الفيل المركَّب ، بطل الأسطورة .

(٢) أحد الأعضاء فى مجلس إدارة مدرسة ما ، قد يفسر مساندته لمشروع قرض قيمته مليون دولار بأساليب مختلفة لأشخاص مختلفين . للأعضاء المشتركين فى التصويت يمكنه أن يتقدم بالمشروع على أن القرار فيه قد يكون قراراً صعباً ، ولكنه خطوة ضرورية ، ملوِّحاً براية « من أجل الأطفال » . وللمدرسين ، يمكنه تقديمه على أساس أنه خطوة نحو تحسين أحوالهم . أما لبقية أعضاء المجلس ، فيمكنه تفسير تشجيعه للمشروع على أن فرصة الحصول على الموافقة عليه فى ذلك الوقت أفضل كثيراً مما قد تكون عليه الحال بعد سنوات قليلة . أما بالنسبة لزوجته ، فقد يقدم المشروع على أنه فرصة له لإنجاز شىء يستحق العناء ــ شىء ظاهر يفخر به بعد كل السنين التى قضاها فى اجتماعات مجلس الادارة .

وهنا يجب ملاحظة أن فى كلا المثلين السابقين ، لا يتحتم وجود تعارض فيما تم توصيله للمتلقين المختلفين . . ولكن الصورة التى تكونت عند كل متلق تختلف تماماً من شخص إلى آخر ، كما أن مجموعها معاً لن يتساوى مع الموضوع ككل .

فإذا كانت الاختلافات بهذا الوضوح فى مثل هذه الموضوعات ، فهل نعجب عندما تختلف تصريحات المرشحين السياسيين باختلاف الجمهور ؟ يبدو مثل هذا الازدواج مثيراً للعجب لسببين على الأقل : (١) نحن لا نأخذ فى الاعتبار الجمهور وماله من تأثير على المتحدث . (٢) إذا كنا قد قرأنا عن موقف مرشح ما من مشكلة أو موضوع ما ، فيجب أن نعدِّل مفهومنا ، آخذين فى الاعتبار آخر ما أدلى به هذا المرشح من تصريحات . . وبهذا يصبح العالم أكثر تعقيداً ، مما يدعو إلى وجود حالة من عدم الاستقرار ، وذلك لصعوبة التفرقة

بين الأكاذيب الواضحة الصريحة التى تصدر عن المرشح ، والتغيرات النسبية فى أهمية الموضوع والتى يفرضها عليه الجمهور .

(وفكرة أن للمستمع تأثيراً على ما يقوله المتحدث ، اكتشاف حديث ـ نسبياً على الأقل ـ لأن هذا المظهر من عملية الاتصال لم يحظ بقدر كبير من الاهتمام إلا مؤخراً . ففى عام ١٩٦٣ كتب ريموند بوير عن كيفية أن مكونات جمهور المستمعين قد تملى على المتحدث ما يقول [2] . ويعتبر هذا الاتجاه انحرافاً جوهرياً عن الاتجاه المعروف السائد ، والذى أكد على قوة تأثير المتحدث ، أو وسائل الإعلام على الجمهور) .

تأثير المراسل على مصدر الأخبار

من المنطقى أنه إذا كان من الممكن للجمهور أن يؤثر فيما يقال ، فالمراسل من الممكن له أن يؤثر فيما يقوله مصدر الأخبار بالأسلوب نفسه . فالمصدر قد يجيب عن تساؤلات المراسل ، ليس فقط من منطلق مصلحته الشخصية ، ولكن من منطلق إدراكه لشخصية المراسل كذلك . فالسيدة التى تعمل مراسلة صحفية ، وتقوم بلقاءات مع المواطنين لمعرفة آرائهم فى تعديل قانون المساواة فى الحقوق ، من المتوقع أن تحصل على إجابات مختلفة عن تلك التى يحصل عليها المراسل الرجل . . كذلك فالمراسل الملوَّن الذى يجرى حواراً مع عضو مجلس المدينة عن التفرقة العنصرية فى الاسكان ، من المتوقع أن يحصل على معلومات مختلفة عن تلك التى يحصل عليها مراسل من البيض . وكذلك المراسل الذى يبدى تعاطفاً مع مصدر الأخبار الذى يتعامل معه يحصل على إجابات مختلفة عن تلك التى تعطى لمراسل آخر يبدى سلبية بالنسبة للمشكلة المطروحة ، أو يتخذ أسلوباً عدوانياً . وهكذا من الممكن إضافة الكثير من الأمثلة إلى هذه القائمة . . إذ أن المهم هو أن ماهية المراسل والطريقة التى يراه بها (أو يراها بها) مصدر الأخبار ـ هذه هى العوامل التى تحدد المعلومة التى

تصل فى النهاية إلى الجمهور ـ خاصة إذا كان المراسل غير مدرك لتأثيره على مصدر الأخبار .

منذ بضع سنوات تحدث جيمس رايتسون مساعد رئيس تحرير فى مجموعة صحف ماكلاتشى McClatchy Newspapers ـ تحدث عن كيفية تغطيته ـ مع تشارلز هيرلى ـ لما دار من أحداث فى المحكمة الاقليمية لفريزنو . كان وصفه للأساليب التى استخدماها فى حصولهما على الأخبار ، وتأثيرهما على مصادر تلك الأخبار كما يلى : « هيرلى وأنا نعمل بطريقة مختلفة . . فعندما يدخل هو إلى مكتب ما ، يخرج له الناس صور عائلاتهم ، ويعرضونها عليه . . ويقضى الجميع وقتاً مرحاً ، وتبدو عليهم السعادة لرؤيته . أما عندما أدخل أنا ، فهم يقولون : (الآن حضر هادم اللذّات) ، ولكن كلينا يحصل على القصة التى يريدها » .

وكفاءة كل من المراسلين ليست موضع شك . . فلكل أسلوبه المريح فى العمل ، الذى يستخدمه بوعى كامل . . وكل منهما يدرك تماماً أن هناك حاجة للتغيير من آن لآخر فى هذا الأسلوب ، فيقوم بالتغيير المطلوب .

وأساليب المراسلين تتغير ـ ليس فقط من يوم لآخر ـ بل فى أثناء اللقاءات وتبعاً للظروف المحيطة بعملية تجميع الأخبار . ومثال واضح للمحاولات الجادة للحصول على معلومات من مصدر للأخبار هو اللقاء الذى تم بين جاك بركنز وسرحان سرحان قاتل سيناتور روبرت كيندى [3] . ففى بداية اللقاء كان بركنز يتحسس طريقه فى محاولة لامداد جمهوره بالمعلومات ، وفى منتصف المقابلة أصبحت أسئلته أكثر خطورة . . وعندما اقتربت المقابلة من نهايتها ، بدأ فى إلقاء أسئلة ووضع ملاحظات كان من الممكن أن تعوق حصوله على ما يريد لو استخدمت فى مرحلة مبكرة .

وفيما يلى بعض من الأسئلة التى ألقاها بركنز فى بدء الحوار :

بركنـز : سرحان . لمدة سنتين كاملتين قبل الاغتيال ، كنت تقرأ كثيراً عن السحـر والتنحيم ، وتفوّق المقدرة العقلية على المادة .
وكنت تقوم بإجراء التجارب . هل من الممكن أن تروى لنا بعضاً منها ؟

سرحان : كما قلت فى المحكمة ، إن تجربة الشمعة ، حين تركز على رؤية لهب الشمعة بأى لون تريده ، فما عليك إلا أن تنظر إلى اللهب وتفكـر فى اللون الأحمـر ـ مثـلاً ـ لفـترة ما . ثم تفكـر فى اللون الأصفر ، أو أى لون .

بركنز : هل تعتبر نفسك إنساناً فقيراً ؟

سرحان : نعم ، ياسيدى . وكنت أتمنى ألا أكون موجوداً هنا الآن .

بركنـز : عنـدمـا أتيت إلى هذا البلد كنت قد آمنت تماماً « بالحلم الأمريكى » أليس كذلك ؟

سرحان : آمنت به مائة فى المائة . مائة فى المائة

بركنز : هل زال عنك ما به من وهم وخداع فيما بعد ؟

سرحان : بعد الحرب العربية الاسرائيلية فقط . ففى البداية كنت بلا عمـل ، وقـد حاولت بأمانة أن أجد وظيفة . . وبعد فصلى من المـدرسـة ثم بعـد تلك الحـرب العـربية الاسرائيلية وتلك الحروب المستمرة فى الشرق الأوسط الآن . لم تعد لى شخصية لا . . ولا أمـل . . ولا هدف . . لا شىء على الاطـلاق أكافح من أجله . . وفجأة استسلمت . . فلم يعـد لى حلم أمـريكى ولم أعـد قادراً على قبـوله

وعندما حاول بركنز الدخول فى تفصيلات عملية الاغتيال ، بدأ فى إلقاء أسئلة أكثر صعوبة ، وبدا فى بعض الأحيان غير مصدق لإجابات سرحان . . حتى إنه فى لحظة ما كاد يعتذر لصعوبة الأسئلة التى يلقيها . . ثم أصبحت أسئلته أكثر صعوبة :

بركنز : سرحان ، السؤال المهم الآن هو ، هل ذهبت إلى فندق أمباسادور فى يوم الأحد المذكور لفحص المكان ووضع خطتك وتدبير مؤامرتك وتحديد المكان الأمثل لإطلاق النار عليه ؟

سرحان : سيدى . . أننى أعرف أن ما سأقوله يبدو لا يصدَّق ، ولكنى ذهبت هناك لمجرد رؤية « سيناتور كيندى » !

بركنز : حسناً . . وفى ليلة الاغتيال قلت إنك ذهبت إلى فندق أمباسادور حيث تناولت بضعة كئوس من الخمر . ثم قلت إنك وصلت إلى حالة من السكر لا تسمح لك بقيادة السيارة إلى بيتك .

سرحان : نعم ياسيدى . . حدث .

ثم ناقش بركنز و سرحان عملية الاغتيال ، وقول الأخير إنه لا يذكر شيئاً عن الموضوع حتى وجد نفسه فى مركز الشرطة . . ولاحظ بركنز أن سرحان لم يسأل عن سبب إلقاء القبض عليه .

بركنز . لقد تم احتجازك فى قسم الشرطة فى منتصف الليل ، وأحاط بك الضباط من كل جانب وقد كُبِّلت يداك . . فمن الضرورى أنه قد خطر لك أن تسأل : لماذا أنا فى هذا المكان ؟

سرحان : ياليتنى فعلت . . ياليتنى فعلت

بركنز : ولكنك لم تفعل . . وهذا يعنى ــ بالطبع ــ أن الأمر يبدو وأنك تعرف سبب وجودك فى ذلك المكان .

وقد ذكر بركنز فيما بعد ما جاء فى مذكرات سرحان ــ قبل الاغتيال حيث كتب : إن « ر. ف. ك » يجب أن يموت . . أو يضُحَّى به !

سرحان : أنا أعرف ياسيدى أن هذه الكلمات كتبت بخط يدى ، وأنها أفكارى . . ولكنى لا أتذكرها .

بركنز : حسناً . . هل كتبتها وأنت فى لحظات ثورة عنيفة ؟
سرحان : أرجِّح ذلك ياسيدى . . أرجح ذلك . . فإنها كتابات مجنونة .
بركنز : إنها كتابات سرحان سرحان

وانتهى لقاء بركنز وسرحان تاركاً القاتل غارقاً فى دموعه بعد أن عبر عن تمنياته لوأن سيناتور كنيدى كان مازال على قيد الحياة وأن يسود السلام فى الشرق الأوسط . . وكان بركنز فى موقف متعاطف نوعاً بعد أن ألقى بعض الأسئلة عن عائلة سرحان .

وعلى وجه الاجمال فإن هذا اللقاء أعطى صورة لقاتل غيَّر مجرى تاريخ العالم . . رجل ضئيل . . مرتبك ينتظر تحويله إلى سجن سان كوينتن . وعموماً لم يكن بركنز متطفلاً فى أثناء ذلك اللقاء عندما رتب أسئلته بطريقة تعطى للجمهور أكبر فرصة للوصول إلى أعماق ذلك الرجل وهذا الحدث . وأية مراسل صحفى أقل كفاءة ، مراسل لا يتمتع بهذا القدر من الحساسية بالنسبة لردود فعل المصدر الذى يتعامل معه ، وليس على هذا القدر من الاستعداد لمثل هذا اللقاء ، ما أمكنه أن يكشف لقراءه عن دخيلة نفس سرحان كما فعل بركنز .

وعلاوة على تأثير المراسل الصحفى المباشر على مصدره وعلى وسيلة جمعه للأخبار (وهذا الموضوع سوف يتم شرحه بالتفصيل فى الفصل التالى) ، فهناك عوامل نمطية وأساسية تحدد نوعية الأخبار التى يتم جمعها ، وكيفية الوصول بها إلى الجمهور . وكما ذكرنا من قبل فهذه العوامل تتضمن تعريف الأخبار ، ونوعيتها ، وكذلك الحكم المسبق على صلاحية تلك الأحداث للنشر .

تعريف الأخبار

تضع الكتب الدراسية الخاصة بعمل المراسل الصحفى قائمة بالمقاييس المستخدمة فى الحكم على الحدث ، ومدى صلاحيته لأن يكون خبراً يُنشر . . ويمكن للطالب المستجد أن يضع تلك المقاييس فى قائمة كما يلى : اهتمامات الناس ، التوقيت ، نوعية الصراع ، التقارب فى الزمان أو المكان ، التبعات والنتائج ، والشهرة . أما الصحفى المتمرس فقد لا يستخدم هذه العبارات ، ولكنه يعرض تعريفات عملية مثل : « الأخبار هى ما أقول عنه إنه « أخبار » أو « الخبر هو ما ينشر فى الصحف » . . أو « الأخبار هى ما تعرفه اليوم ، ولم تكن تعرفه بالأمس » .

وسواء أخذت بما جاء فى القوائم المنصوص عليها فى الكتب الدراسية ، أو بما جاء فى تعريف المراسل الصحفى من واقع ممارسته للعمل ، فمن البدهى أن أسلوب تعريف الخبر هو الذى يتحكم فى نوعية ما يتم نشره . . . أو بمعنى آخر إذا قرر مراسل ما أن شخصاً معيناً يتمتع بالشهرة ، فسوف تنال تصرفات ذلك الشخص عناية أكثر من غيره ممن يعتبرهم ذلك المراسل أقل منه شهرة .

وأهمية هذه النقطة ليست غائبة عمن يرغبون العمل فى هذا المجال ، فهم يدركون أنه على كل من يرغب فى الوصول إلى اتقان هذا العمل وأدائه بصورة تلفت إليه وإلى أفكاره الأنظار ، فعليه أن يوجد الأحداث ، وإلا كان عليه أن يقنع المحرر بأن الرسالة المقدمة منه تستحق النشر فعلاً . . وهو كثيراً ما يفعل ذلك باستخدام المقاييس المدرجة فى الكتب الدراسية الخاصة بالصحافة : اهتمامات الناس (فيلتقط صورة لنجمة مشهورة فى وضع غريب مع حيوان أليف) ، التوقيت (فيحدد موعد المؤتمر الصحفى بحيث يتناسب مع آخر موعد ممكن أن يطبع فيه الخبر) ، الصراع (كأن يهدد بتلويث مياه الشرب فى المدينة ، أو ينوى بأى تصرف شاذ كما فعل المعارضون فى شيكاغو فى أثناء الأيام السابقة لميثاق سنة ١٩٦٨ الديمقراطى القومى) ، التقارب

(يوجد رباطاً قوياً بين القضية والمحتمع) ، الشهرة (يعزز مركز الشخص المعنى بالتنويه عن اهتمام الجماهير به اهتماماً واصحاً ، أو يخطط لظهوره بصحبة أشخاص مرموقين ممن تعارف على شهرتهم فى الوسط الصحفى) ، أما عن التبعات والنتائج (فبالايحاء للقراء بأن الكثيرين سوف يتأثرون) .

ونتيجة لذلك ، إذا أراد شخص ما أن يبعد موضوع معين عن متاول يد الصحافة فعليه أن يعكس الخطوات فى كل ما سبق ذكره ، فيقنع المراسل الصحفى أن الفرد أو الحدث المقصود لا يستحق النشر : من حيث اهتمام الناس (ليس فيه من جديد ، فالطلاق ــ مثلاً ــ يحدث كل يوم) ، التوقيت المناسب (ياه إن هذا حدث منذ شهر . . هل تعنى أنك لم تكشفه إلا الآن ؟) التقارب (لا أعتقد أن هذا الموضوع يهم أياً من القراء) ، الشهرة (معظم سكان المدينة لا يعرفون عنى شيئاً ولا يهمهم أمر ما يحدث لى على الاطلاق) ، التبعات والنتائج (هذا الموضوع لا يخص أحداً غيرى أنا وزوجتى ولا يمكن أن يهتم بقراءته أى شخص آخر) .

وبينما لا نرى تلك التعريفات على جدران دور الصحف ، فكل من يعملون فى هذا المجال يدركون تمام الادراك التعريفات العملية للأخبار ، وكثيراً ما استخدموها ببراعة فائقة لخدمة أغراضهم .

وكل من يريد مناقشة موضوع تعريف الأخبار يجب أن يدرك تمام الادراك الطبيعة النسبية للخبر . فمفاهيم اهتمامات البشر ــ الشهرة . . إلخ مفاهيم نسبية تماماً . فالأخبار التى قد تضيع تماماً فى الصفحات الأخيرة من جرائد يوم الخميس أو الجمعة مثلاً قد تستحق النشر فى الصحفة الأولى من جرائد يوم الاثنين ، لأن يوم الاثنين غالباً ما يعتبر « يوماً بطيئاً » ، وذلك قد يرجع ــ إلى حد ما ــ إلى أن المؤسسات الحكومية ــ وهى مصدر معظم الأخبار ــ تكون فى بدء أسبوع جديد . وقد اكتشف الرئيس روزفلت هذه الحقيقة منذ ٧٠ عاماً عندما أصبح من أوائل الرؤساء الذين استخدموا الصحافة لصالحهم .

فإذا كانت الأخبـار التى يُصرح بنشرها يمكن التحكم فيها عن طريق إعطاء مزيد من الاهتمام لمصدر تلك الأخبار ، فكذلك من الممكن التحكم فى توقيت نشرها بحيث تحصل على الحد الأدنى من اهتمام القراء وملاحظاتهم . وعلى سبيل المثال : فالتقارير المتعارضة التى تصدر عن الحكومة والتى يتحتم التصريح بنشرها إن آجلاً أو عاجلاً ، يصدر التصريح بذلك خلال الاجازات الصيفية عندما يكون اهتمام الناس بما تنشره الصحافة ضئيلاً . . أو حينما تكون اهتمامات الناس متجهة إلى موضوع آخر . . وقد يكون هذا الموضوع الآخر موضوعاً مختلقاً لمجرد شد الانتباه . . وعامة ، فإن الطبيعة النسبية التى تحدد ماهية الأخبار هى نتاج سلسلة من الأحكام التى يصدرها المحررين والمراسلين فى تقييمهم لأحداث اليوم وليست نتيجة لخطط قاموا بوضعها . فمثلاً معالجة موضـوع حريق راح ضحيته ٦٠ شخصاً ، هو حدث له أهمية قومية ، وقد تكون أيضاً أهميته عالمية . . وبرغم ذلك فعندما نشب حريق فى « جولدن إيدج رست هوم » فى ولاية أوهـايو ، لم يشغـل هذا الحدث الصفحات الأولى فى صحف تلك الولاية فى شهر نوفمبر سنة ١٩٦٣ ، عندما اغتيل جون كنيدى .

والعـديد من تعـريفـات الأخبار ــ مثلها مثل طبيعتها النسبية ــ بقيت بلا تغـيرات أسـاسية منذ أن بسَّط جيمس جوردن بينيت لغة الصحافة سنة ١٨٣٠ وجعلهـا فى متنـاول فهم الجـماهير . . وقد كانت جريدته « نيويورك هيرالد » أحسن مثال للسبب الذى من أجله أطلق على صحافته فى تلك الحقبة « صحافة الجماهير » [4] .

قد يكون من المبالغة أن نقول أن أية تغيير فى تفسير ماهية الأخبار يعكس تغيراً فى المجتمع ، ومع ذلك هناك حالات لبعض التحسينات النسبية الحديثة التى شملت عاملين من العوامل التى سبق ذكرها ، وهما عاملاً « الشهرة » ، « والصراع » . . فقـد تم إعـادة تشكيل لمفهـوم « الشهـرة » خلال فترة الاضطرابات السياسية التى حدثت فى أوائل الخمسينات ، كما تم إعادة تحليل

لمفهوم « الصراع » بعد الاضطرابات المدنية والاضرابات التى حدثت فى الستينات .

فتحت التعـريف التقليدى للأخبـار يصبح ما أدلى به سيناتور أمريكى خبراً . . فقد أصبح خبراً لأنه صدر عن رجل مشهور والتوقيت كان مناسباً ، كما أن التصريحات التى تصدر من مثل هذه الشخصية ذات الصبغة الرسمية من المتـوقـع أن يكـون لها تأثير على الآخرين . وقد أدرك السناتور جوزيف ماكـارثى إن مكـانتـه هى التى مهـدت له الـطريق ـ بلا منازع ـ إلى عالم الأخبار . وقد استخدم هذا المدخل للوصول إلى التحذير مما أسماه « التسرب الشيوعى للحكومة الفيدرالية » ، مما أدى إلى إثارة تساؤلات حول ولاء الجنرال جورج مارشال (هذا الرجل الذى يعتبر الآن من أعظم الشخصيات الأمريكية على مدى القرنين الماضيين) وكذلك بعض الشخصيات الأخرى الأقل منه شهرة . . وعامة استخدم هذه الوسيلة لتغذية المخاوف والشكوك وفقدان الثقة والنوايا السيئة التى كانت متفشية فى الفترة التى نطلق عليها الآن « الفترة الماكارثية » [5] .

وعـدد الشيوعيين الـذين قال ماكـارثى إنـه قد كشفهم فى وزارة الدولة وغيرها ، اختلف من خطاب إلى آخر ، ولكن تلك الاختلافات لم تناقش . . فمجـال الأخبار كان لديه من المشاكل ما يكفيه ليستطيع ملاحقة تصريحات ماكارثى الجديدة واتهاماته . . كما أن التعريف السائد وقتئذ للأخبار لم يكن يسمح للمراسلين بالكثير من التساؤلات أو التفسيرات لاتهامات ماكارثى ، هذا بالاضافة إلى أن شهرته كسيناتور أعطته أفضلية لا يستهانُ بها فى الحصول على اهتمام المشتغلين فى مجال الأخبار فيما يتعلق باستخدامه الاكراه والتهديد لمرؤوسيه من الموظفين الفيدراليين .

وفى الـوقت الـذى كانت فتنة ماكارثى قد قامت بدورها ، كان الوسط الاخبارى قد بدأ يعيد تقييم مفهـومه لتعريف « الشهرة » كمقياس لتغطية

الأحداث . واتسع تعريف الأخبار ليشمل عملية تضمين حكايات الأخبار موضوعات جديدة مثل مدى صدق المصدر المشهور ، وأصبح من الممكن ظهور تساؤلات عديدة لمصادر أخرى ، أو بواسطة مراسلين قاموا باجراء مقارنات بين ما صدر من تعليقات عن مصدر ما بمستندات خاصة ، أو مقارنتها بتصريحات سابقة للمصدر نفسه . وقد ظهر أن مجرد نقل تصريحات صادرة عن شخصية مشهورة قد تكون مسئولية مصدر يعوزه حسن تقدير لتلك المسئولية .

وبينما تُذكر فترة ماكارثى غالباً على أنها السبب الأول فى هذا التغيير فى تعريف الأخبار ، فالفكرة لم تكن جديدة تماماً . إذ جاء فى كتاب كيرتس ماكدوجال Curtis MacDougall « تفسيرات التغطية الاخبارية »[6] الذى صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٣٠ ، اتجاه جديد فى تفسيره لماهية الأخبار . وقد أثبت فى تقرير اللجنة المنعقدة فى سنة ١٩٤٧ عن حرية الصحافة أن مسئولية الأخبار لا تقتصر فقط على إبلاغ الواقعة بأمانة ، ولكنها يجب أن تقوم بإبلاغ كافة الحقائق التى وراء تلك الواقعة[7] . وبهذا قصدت تلك اللجنة أن أحداث الخبر يجب أن تُبلَّغ ــ لا كأحداث منفصلة ــ ولكن فى مضمون يمكِّن القارىء من فهمٍ أفضل لما يدور فى المجتمع .

والتعامل مع الأخبار من خلال الصراع لا يُمكِّننا دائماً من وضع الحدث العنيف فى مضمون مفيد . . فمفهوم « الصراع » كمقياس للأخبار قد وضع موضع التحليل فى الستينات عندما تسلل محررون ــ مع آخرين ــ إلى أماكن بقايا الحرائق والمظاهرات التى حدثت فى بعض المدن باحثين عن أسباب ما حدث . . وقد اتفق المحررون على نقطتين على الأقل : (١) كان الأسلوب المتبع فى حماية المجتمع الأسود غير ملائم ، بل وغير كاف ، وقد تعجبوا تماماً من مدى العنف المستخدم فى مدنهم . (٢) بينما قد يدينون ذلك العنف ، إلا أنهم قد أدركوا مدى الظلم الاقتصادى والاجتماعى الذى يعانى منه السود

فى الولايات المتحدة .

ماذا يمكن أن تفعل الأخبار ؟ أحد الاقتراحات كان أن تقلل من التأكيد على دور « الصراع » كأحد مقاييس صلاحية الحدث للنشر . فإذا كانت الاضرابات والاضطرابات المدنية تستحق التغطية الاخبارية ، فمن المنطقى أن تكون الحال كذلك بالنسبة لمسببات الضيق ، مثل التفرقة فى المعاملة ضد عدد لا يستهان به من سكان المدن . فالتغطية الاخبارية لأسباب هذا الضيق ــ هكذا كان التفكير ــ قد تمنع حدوث المزيد من الاضرابات مستقبلاً ، وذلك بمساعدتها فى حل المشاكل قبل أن تصل إلى حد الانفجار ؛ وكذلك فإن التعامل مع التغطية الاخبارية من خلال عنصر الصراع أعطت الأولوية للمكان ، والوقت لمن يساندون العنف ، وغالباً ما تجاهلت من يعملون من أجل إيجاد حلول للمشاكل بعيداً عن العنف . والعنف ــ كمقياس لمدى صلاحية الحدث للتغطية الاخبارية ــ قد يعطى امتيازاً لمعتوه يهدد بتدمير القاعة الكبرى بمدينة ما ، ويتجاهل الشخص أو الهيئة التى تتقدم بهدوء بخطة لمحاولة القضاء على البطالة فى المدينة نفسها .

وبالطبع فإن التغيير فى تحديد مفهوم الأخبار لم يكن بالدواء الشافى لكل ما سبق . . فبعد مرور عشرات السنين مازال المسئولون يضللون الجمهور . وعندما لا تتطابق تصريحاتهم مع ما جاء فى السجلات الرسمية ، يقولون إن هناك خطأ فى تلك السجلات . وبينما قد لا تنتظر وسيلة الإعلام تصاعد الصراع قبل أخذ المشاكل الاجتماعية فى الاعتبار ، تبقى العديد من تلك المشاكل الاجتماعية موجودة فى انتظار تغطية الأخبار لها . . وفى كلتا الحالتين ، فإن إعادة تعريف « الأخبار » قد غيرت نوعية المادة المقدمة . فالطريقة التى يتم بها تعريف كلمة « الأخبار » تحدد ما يخرج للجمهور ، وبسبب تلك التغيرات فى تعريف مفهوم « الأخبار » فإن الجمهور المتلقى لتلك الأخبار اليوم يجب أن يحصل على معلومات أكثر نفعاً له .

الطبيعة العقلانية للأخبار

من ينظر من الخارج إلى الحكومة ، يعتقد أن السياسة نتاج اتجاه عقلانى فى اتخاذ القرارات ، بواسطة حفنة من الرجال ، بالضبط كما يعتقد من ينظر من خارج الصحف إلى داخلها ، أن الأخبار هى نتاج اتجاه عقلانى فى اتخاذ القرارات بواسطة حفنة من الرجال

ـ بن باجديكيان [8]

من المكونات التقليدية لقصة خبر ما : من ـ ماذا ـ متى ـ أين ـ لماذا ـ وكيف ؟ ومن أكثر هذه المكونات إزعاجاً للمراسل الصحفى ، وتضليلاً للقارىء هو بند لماذا . فالمشكلة تكمن فى أنه عندما يجيب الصحفى عن لماذا ، فإنه يحاول أن يفسر التصرف البشرى ، ويعطى القارىء إجابات بسيطة لأسئلة تبقى دائماً مثيرة لحيرة علماء النفس وأطباء الأمراض النفسية والعصبية وغيرهم من علماء السلوكيات .

فالمراسل يسعى إلى تقديم حكايات أخباره كاملة . . لماذا أدلى الرئيس كارتر بذلك التصريح ؟ لماذا أصدر القضاء حكمه بهذا الأسلوب ؟ لماذا أغلق الرجل المخزن ؟ كل هذه أسئلة هامة ، والاجابات عنها قد تحدد اتجاه سياسة الحكومة ، والأسلوب الذى يتبعه المجتمع فى حل مشكلات هامة .

والصعوبة التى تواجه المراسل عامة هى أن الإجابة عن لماذا ليست دائماً فى متناول يده . فالإنسان الذى تدور حوله قصة الخبر قد لا يعرف السبب الذى دعاه إلى التصرف بالطريقة التى تم بها الحدث . . وبرغم ذلك يقدم المراسل تفسيرات . . ومثل تلك التفسيرات يطلبها المشرفون على الجريدة ، الذين يلاحظون وجود فجوات فى قصص تنقصها الإجابة عن عنصر لماذا ، كما أنها تكون مطلوبة من الجمهور نفسه الذى قد يرتاح نفسياً لإمكانية حصوله على تفسيرات معقولة لتصرفات تبدو غير معقولة . . ومثل تلك التفسيرات قد

تجعل العالم أكثر وضوحاً وأقل إثارة للخوف . فمن المثير للاضطراب أن نفكر أن هنـاك قوى خارجـة عن سلطاتنـا وإرادتنا قد تطيح تماماً بأمننا ، وأُسرنا بلا إنـذار . . وبـلا تفسير . فالمراسل يسعى دائماً لإيجاد مبررات وتفسيرات للأحداث بالنسبة للقارىء الذى يحتمل إثارته .

لنفكر معاً فى قصة الخبر التالى كمثال لا يختلف كثيراً عما نراه على صفحات الجرائد بين حين وآخر .

صبى يبلغ من العمـر ١٦ عاماً ، تم القبض عليه بتهمة قتل والديه فى الليلة الماضية ، بإطلاق الرصاص عليهما من بندقية كانت قد أهديت إليه فى عيد الميلاد وقد قالت الشرطة إن الصبى قد قتل والديه (لماذا ؟) لأنهما لم يسمحا له باستخدام سيارة العائلة ، بعد أن حررت له مخالفة بسبب السرعة .

هذا هو التفسيرـ ومعظمنا يقرأ القصص الاخبارية ولا يسأل مزيداً من الأسئلة . واذا تأملت الخبر لحظة ، واستمر تصديقك للتفسير المذكور لعملية القتل ، واقتناعك به ، فسوف تصبح والداً متساهلاً إلى حد ما .

التفسـيرات مطلوبـة فى القصص الاخبارية ، ولكن الرغبة فى المنطقية والمعقـولية ، والقـدرة على إقنـاع القارىء بوجود شىء من المقدرة على التنبؤ بالعلاقات الإنسانية ، هما العوامل التى تشكل الأخبار .

لقد كان جيمس ماكارتنى ـ بالمقر الرسمى لجريدة نايت واشنطن دى . سى . Knight Newspaper's Washington D.C. ـ كان محرراً للأخبار المحلية للمدينة لجريدة « شيكاغو ديلى نيوز » عندما تحدث عن كيفية تسرب الأحداث غير المنطقية بواسطة مراسلين عاقلين ، وكيف قدمت للقراء . وقد يكون مبالغاً فى الحالة المذكورة ، إذ قال :

نحن لا نعلم الكثير عن معظم ما ننشره فى الجريدة . . نحن لا نعلم شيئاً عما يدور على الجانب الغربى . . فمعظم ما فى الجريدة يأتى من أناس يعوزهم المنطق ، ولكنه يصبح منطقياً ، لأنه يتسلل من خلال مراسلين ومحررين منطقيين . ومن الممكن أن يكون رئيس التحرير ــ إن وجد ــ منطقياً أيضاً [9] .

ولتحذير القراء من التفسيرات المذكورة للقصص الاخبارية ، ينسب المراسل المعلومات إلى مصادر الأخبار . . فالصبى لم يقتل والديه لأنهما رفضا تسليمه السيارة ، ولكن « قالت الشرطة » إن ما ذكر قد يكون تفسيراً لما حدث . وتبقى النقطة على أية حال ــ إن الرغبة فى إيجاد مبررات توضح الأمور ، وتجعل العالم أكثر وضوحاً وأقل إرهاباً ، هى العوامل التى تشكل ما يصل إلينا من المراسلين والعاملين فى مجال الأخبار .

الحكم المسبق على ما يستحق النشر من الأخبار

فى بعض الأحيان ، قد تسهل مهمة المراسل الصحفى (حتى لو لم تكن المعلومات بالدقة أو بالدسامة المطلوبة) ، إذا كان لديه معرفة مسبقة بالقصة التى تنتظره ، أو بالقصة التى ينتظرها منه المحرر . . ويصبح عمل المراسل بذلك مثل لعبة « الغمضية » ، لعبة يعرف فيها المراسل الشىء الذى يبحث عنه ، ولا يهدأ له بال إلا إذا عثر عليه .

وعندما تكون المهمة محددة يصبح الأسلوب السابق ذكره مفيداً « حاول أن تعرف رد فعل » جونز « للاتهام الموجه إليه » . . أو « ماذا يقول مندوب الاتحاد فى مناقشته لآخر عرض قُدِّم له من الادارة ؟ » . . فمثل هذه المهام يكلف بها المراسل ، ويكون واضحاً لديه أنه لو لم يأتى بالمعلومات المطلوبة ، فسوف يعتبر فاشلاً . . فهو يعرف هدفه ، وبذلك تصبح مهمته أسهل .

ومن ناحية أخرى ، فإن مسئولية المراسل تجاه الجمهور فى تزويده بالمعلومات الشاملة والدقيقة يمكن أن تفسد عندما يصدر المراسل أحكاماً مسبقة على القصة الاخبارية المطلوبة ، « فيعرف » ما سوف يتم اكتشافه قبل البدء فى عملية البحث عن المعلومات . وهناك العديد من الأسباب لمثل هذا الحكم المسبق على الأخبار ، منها عدم كفاءة المراسل ، ولكن مناقشتنا سوف تقتصر على ثلاث فقط من المشاكل المرتبطة بهذا الموضوع ، والتى تشكل أحياناً مضمون الخبر : الكنايات أو ألقاب الشهرة ، غريزة الجماعة أو الصحافة الجماعية ، والنظرة المحدودة .

الكنايات أو ألقاب الشهرة

يُعرف ريتشارد برادماس ممثل ولاية إنديانا « بالأستاذ تعليم » وعالم الطبيعة الدكتور إدوارد تيللر (بأبى القنبلة « هـ ») . وقد عرف ريتشارد نيكسون فى فترات مختلفة بكنايات مختلفة منها « ديك المخادع » ، « نيكسون العجوز » و « نيكسون الجديد » . وكان البيت الأبيض فى عهد جون كنيدى معروفاً بـ « كاميلوت » ، أما العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فقد تجمعت فى اصطلاح واحد متفق عليه رسمياً هو « الوفاق » . أما حركات تحرر المرأة فقد كانت فى وقت ما « حرق الصديريات » .

وتثبيت مثل هذه التسميات بالأفراد أو المشاكل أو التحركات يوجزها ويُلخِّصها فى حجم يسهل التعامل معه . وموضوع « الكنايات » هذا يخدم المراسل الصحفى خدمة مزدوجة ، لأنه يُلخِّص له فى كلمة أو جملة السبب الذى من أجله أصبح الإنسان أو الموضوع يستحق النشر ، ويعبِّر باختصار عن الشكل الذى يجب أن تتشكل به التغطية الاخبارية الخاصة به .

والكنايات أو ألقاب الشهرة ، علاوة على أنها توفر الوقت والمكان ، فهى أيضاً من الممكن أن تحوِّل شخصية مركبة إلى شخصية مسطحة ، ذات بعد

واحد ، أو تحول مشكلة اجتماعية معقدة إلى مجرد شعار يُنادى به . والمراسل الذى يغطى أخبار مثل هذه الشخصيات أو المشاكل يصدر أحكامه المسبقة على أساس ما سبق نشره ، وتم التأكيد على صحته . . وتبعاً لذلك ، تظهر القصص الاخبارية لتؤكد ما قد سبق ، وتكرر ذكره ولا تعطى للقارىء أو المشاهد أية وجهات نظر جديدة ، أو ملاحظات أكثر عمقاً . . وتحت ستار التغطية الاخبارية يظهر المجتمع وقادته المزعومون ، كرسوم كاريكاتورية ، وتقدِّم التفسيرات السهلة والاجابات البسيطة أحياناً على حساب العارفين من الجمهور المتلقى للخبر ، وعلى حساب المناقشات الذكية فى أحيان أخرى .

فى صيف سنة ١٩٧٦ وفى أثناء الحملات الانتخابية للرياسة الأمريكية ، تمكن الرئيس جيرالد فورد من التغلب على مشكلة أثارت جدلاً كان قد أثارها منافسه رونالد ريجان ، وذلك بمقاطعته تماماً لاستخدام كناية واحدة هى « الوفاق » ، وهو اللفظ الذى كان قد صار يمثل كل العلاقات الأمريكية السوفيتية . وقد واجه فورد صعوبات جمة فى إيجاد تفسير مقنع يقدمه لريجان يبرر به كيف أنه ضد سيطرة الاتحاد السوفيتى على العالم الحر ، وفى الوقت نفسه يساند هذا « الوفاق » . . وأخيراً ، كف عن محاولة الشرح ، وأعلن أن هذه الكلمة ــ أو الكناية ــ لن تُستعمل لا منه ولا ممن يعملون معه . . وهنا ظهرت ملاحظتان هامتان : (١) لقد رأى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية أنه يستطيع أن يتجنب القضايا المثيرة للجدل بتجنبه لاستخدام كلمة واحدة . (٢) أنه كان على صواب . . فعندما كف فورد عن استخدام تلك الكلمة لم يعد عليه أن يفسرها ، ولم يعد فى إمكان ريجان أو الصحافة أن تقدم تعبيراً بديلاً مناسباً .

مثل آخر لتلك الكنايات ــ أو ألقاب الشهرة ــ فقد أطلق على حركة حقوق المرأة فى بدايتها « جمعية حارقى الصديريات » . . وقد حدث شىء غريب عند نقل أخبار تجمعاتهن ، فلو حدث فى مراحل مبكرة أن تم حرق

صديرياً أو أكثر ــ ونادراً ما كان يحدث ــ سُجل هذا الخبر . . وإذا لم يتم حرق شىء ، بُلِّغ هذا الخبر أيضاً . . « وعلى أية حال ، لم يتم حرق صديرى واحد » . والتغطية الصحفية المتمرسة على استخدام تلك الكنايات ، تمنح وجودها مزيداً من التأكد بذكر عدم وجودها ، كأن عدم وجودها يعتبر مفاجأة ، وليس دليلاً على تلك الكناية مجرد تعبير غير مناسب .

واستخدام لفظى « مع » و« ضد » قد يكون استخداماً مضللاً فى بعض الأحيان ، حينما يحاول المراسل تبسيط تغطية بعض القضايا بتقسيم مصادر أخباره إلى معسكرين ، ويسجل رأى كل من المعسكرين فى الموضوع أو القضية المطروحة ــ وفى بعض الأحيان يكون للقضية أكثر من جانبين ــ أو يكون هناك اختيار واسع بين عدة بدائل مطروحة ، ليس من بينها الحل المرضى .

وكما أشرنا من قبل ، فإن الكنايات تستمر وتبقى ، لأنها تبسِّط وتنظِّم البيئة المحيطة بنا . فأقرب إلى المستحيل أن يستطيع الصحفى تجنب استخدام تلك الكنايات ، ولكن الخدمات المقدمة للجمهور تصبح أفضل لو أدرك المراسل الصحفى المشاكل الكامنة فى عملية إطلاق تلك الكنايات ، فلا يسمح للكنايات التى أطلقها الآخرون وثبتوها أن تملى عليه أسلوب تغطيته للحدث .

غريزة الجماعة ، صحافة الجماعة

من الدروس المكررة فى حياتنا عامة ، هو أنه من الأكثر أماناً أن تتبع الجَمْع ، ولا تنفرد بذاتك . وفى أحسن الأحوال فإن مثل هذا النمط من التصرف يعطى خبرة يتعلم منها المبتدىء الذى يتمتع بنعمة وجود من هم أكبر منه سناً من الحكماء ، ووعداً بضمان السلامة الكامنة فى التصرف ضمن مجموعة والاشتراك معهم كذلك فى ردود الفعل . وفى أسوأ الظروف ، فإن الاتجاه نحو التطابق قد يعنى اختفاء التساؤلات ، وبالتالى عدم إضافة أية خبرات جديدة

فإذا كان الاتجاه الجماعى خاطئاً ، فسوف يستمر فى طريق الخطأ . . فالعملية الآلية لتصحيح النفس غير موجودة .

وفى أثناء إعداد الأخبار ، تعنى غريزة الجماعة ـ التى يطلق عليها أحياناً الصحافة الجماعية ـ تعنى تغطية الأخبار كما نُعرفها بأنها مقصورة على ما يُغطى من أخبار . . قد يبدو هذا كإعلان غير واضح . نعم ، هو كذلك . . فالمواضيع التى يتم تصنيفها تحت بند « صالح للنشر » ، يحدث ذلك لأن تغطيتها إخبارياً يتم فعلاً بوسائل الإعلام الأخرى .

وبعض مضامين الأخبار التى تنشر فى الدولة قد يُمليها ما يغطيه واحد أو اثنان من مراسلى الصحف المحترمة أو شبكات الأنباء ، ثم يتم التقاطها عبر الأسلاك ويتحرك مراسلو وسائل الاعلام بأقصى سرعة ممكنة ليحصل كل منهم على نسخة ـ نسخة خاصة به ـ لما يحدث ، وما يتم نقله أو تغطيته بواسطة قادة المجموعة .

وفى المعتاد يبدأ يوم معظم المراسلين بقراءة وتأمل ما ينقله الآخرون من أخبار . . ويستحق الرثاء فعلاً ذلك المراسل الصحفى الذى يعمل ضمن مجموعة ولا تتضمن قصصه الاخبارية ـ إن لم يكن ذلك فى مقال افتتاحى ـ ما جاء وأكدته وكالة الأسوشتيدبرس مثلاً ، أو غيرها . فالرئيس يقرأ ويفحص ما يصدر من أخبار فى الوسائل الإعلامية الأخرى ؛ والضغط لا يمارس فقط على المراسل لينقل ما ينقله الآخرون ، ولكن المراسل الذى يبدأ بداية خاصة به ، وفقاً لما يعتقد أنها بداية قصة إخبارية جيدة ، من الممكن أم يُمنع من الاستمرار فى عمله بقول محرر آخر : « إذا كانت قصتك بهذه الجودة ، لماذا نحن فقط الذين نقوم بتقديمها ؟ » .

ومثل هذه الشكوك قد جالت بخاطر محررى جريدة « الواشنطن بوست » عندما بدوا وكأنهم وحدهم فى تغطية إحداث ووترجيت . وقد واجه سيمور هيرش السؤال نفسه عندما سعى إلى نشر قصصه عن مذبحة ماى لاى My Lai ،

وقد وجد جيمس ريسر نفسه ــ فى بعض الأوقات أثناء تغطيته لموضوع فضيحة تصدير الغلال ـ يتحدث إلى موظفين فيدراليين كان من الممكن أن يروا فى المراسل الصحفى مخلوقاً خطراً ، لأنهم لم يكونوا قد رأوا إلا عداداً قليلاً جداً من هذا النمط من البشر .

وكتاب تيموثى كروس « الصبية فى السيارة العامة » الذى كتبه عن انتخابات سنة ١٩٧٢ ، حافل بالأمثلة عن صحافة الجماعة .

والضغوط التى يمارسها زملاء العمل ، وتوقعات المراسل الصحفى نفسه قد تشكل ما يكتبه المراسل ، وغالباً ما تكون هناك أسباب مقنعة للاتفاق الجماعى على قصة الخبر الرئيسى . ومن ناحية أخرى فالكثير من القصص الاخبارية الرئيسية التى ظهرت خلال السنوات القليلة الماضية كانت بارزة ، لأنها اكتملت بواسطة مراسلين كانوا يعملون بمفردهم ، بل وكان بعض زملائهم يعتبرونهم قد ساروا فى الاتجاه الخطأ .

الرؤية المحدودة

لقد عرف قاموس « وبستر » الدولى الجديد الرؤية المحدودة بأنها : « تغطية ٧٠٪ أو أقل من مجال الرؤية المتاحة فى وضع مستقيم والناتج عنه استبعاد المحيط الخارجى » .

وبالتعامل مع الصحافة من هذا المنطلق النفسى نجد أن « الرؤية المحدودة » تتضمن الكثير من الأخطاء مثل الكتابة بسطحية وبلا عمق ، مما يؤدى إلى أن يصبح إدراك الإنسان لما يستحق النشر مقصوراً ــ فى المرتبة الأولى ــ على ما كان يبحث عنه .

والمراسل الذى يغطى موضوع الغرض من إصدار قانون ما بلا تغطية إخبارية للنتائج المحتمل أن تترتب عليه ، يعانى من « الرؤية المحدودة » . وكذلك يفعل المحرر الرياضى الذى يسجل قوة الفريق القومى فقط ، والمحرر

الذى يؤمن تمام الايمان بأن المركز التجارى الجديد سوف يكون أعظم إنجاز تحقق فى مدينتنا .

وقد تتكون لدى المراسل الصحفى هذه « الرؤية المحدودة » على مر سنوات طويلة لا تتغير فيها مصادر اخباره ، لأنه فى هذه الحالة يرى كل ما يستحق النشر من خلال وجهة نظر مصادره ، غير مبال ولا مصدق لوجهات نظر الآخرين .

والأسلوب المتبع فى الطبع يؤدى إلى تلك « النظرة المحدودة » . فإذا تأملنا ما حدث فى أثناء تجمعات سنة ١٩٦٠ ضد حرب فيتنام ، نرى أن أحد أساتذة الصحافة وبعض أصدقائه قد لاحظوا شيئاً غريباً ، إذ أنهم لم يروا شخصاً واحداً ملتح فى كل التجمعات . . وقد قاموا بفحص كل الجموع ولم يجدوا ذلك المعترض ذا اللحية الذى ظهرت صورته مطبوعة . . ولكن مراسلا ومصورا صحفياً كانا أكثر حظاً منهم ، إذ تمكنا من العثور على شخص واحد ملتح بين كل الجموع . . وهذا الشخص هو الذى ظهرت صورته تتصدر الصفحة الأولى من جريدة اليوم .

ومفتاح التحكم فى وسيلة الإعلام هو ببساطة معرفة مصدر الأخبار لما يبحث عنه المراسل . . فإذا أعطاه المصدر ما يبحث عنه ، فسوف يستطيع هذا المصدر أن يشكّل التغطية الاخبارية كما يريد .

وقد أدرك النائب السابق للرئيس سبيروت . أنيو أنه سوف يحظى بتغطية اخبارية واسعة كلما استخدم جملة معينة فى وصفه الدقيق لوسيلة الإعلام ، أو لأعداء حكومة نيكسون . لذلك كلما أراد أن يلفت إليه الانتباه ــ هو أو مساعديه ــ استخدم جملة تبدأ جميع كلماتها بحرف واحد مثل « مناقشة محدثى الشراء المشكوك فيهم » . . وهو واثق من أن استخدام مثل هذه الجمل سوف يستحوذ على انتباه مراسلى الصحف ، وقد استشهد الكاتب السياسى جول ويتكوفر بالفقرة التالية مما جاء فى خطاب بقلم أحد معدى خطب أنيو :

كل هذا كان متعمد إلى حد ما . . فهو شىء مضحك . ومسل . ومثير ، يعطى الكاتب لوناً جديداً له مذاق خاص فى كتاباته ، وهكذا يشد الانتباه . . وبأسلوب لطيف . وهذه كانت الفكرة الأساسية . . فكل ما فعله هو لفت الانتباه إلى رسالته ، واستخدامه للكلمات التى تبدأ بالحرف نفسه أدى بالضبط إلى النتيجة التى استخدم من أجلها . . ثم نشرتها الصحافة . ومتى تم ذلك يتركها . ويفعل شىء آخر[10] .

والكنايات أو ألقاب الشهرة ، وغريزة الجماعة ، والرؤية المحدودة ، جميعها ليست أنماطاً من التصرف مقصورة على الصحفيين ، ولكن مثل هذه السّمات تعرقل سير الأمور عندما يمارسها المراسل الصحفى المسئول عن اخبار الآخرين بما يحدث فى المجتمع .

مطالعات مقترحة

Balk, Alfred, and Boylan, James, eds. *Our Troubled Press.* Boston: Little, Brown and Company, 1971.

Columbia Journalism Review, Columbia University, New York 10027; cumulative index, vols. I-IX, covers Fall 1961 through Winter 1970-71.

Crouse, Timothy. *The Boys on the Bus.* New York: Ballantine Books, 1973.

MacDougall, A. Kent, ed. *The Press: A Critical Look from the Inside.* Princeton, N.J.: Dow Jones Books, 1972.

(More), 750 Third Avenue, New York, 10017.

Nieman Reports, Harvard University, Cambridge, Mass. 02138.

Strentz, Herbert; Starck, Kenneth; Anderson, David L.; and Ghiglione, Loren. *The Critical Factor: Criticism of the News Media in Journalism Education.* Journalism Monograph No. 32, Association for Education in Journalism, 1974. See selected bibliography, pp. 34-40.

٣ الحديث الصحفى

يرتكز هذا الفصل على افتراضين : (١) إذا كان المراسل قد أعد عدته للحديث بأسئلة جيدة ، فإنه من المتوقع أن يحصل على قصة إخبارية أفضل ممن لم يستعد للقاء ، وبالتالى تبدو أسئلته هزيلة وسطحية . (٢) الطريقة التى يستخدمها المراسل فى جمع الأخبار . . هى التى تحدد نوعية المعلومات التى تصل فى النهاية من مصادر الأخبار إلى الجمهور .

وهنا تظهر هذه التساؤلات : إذا سلّمنا بصحة هذين الافتراضين ـــ وهو ما يبدو أمراً شديد البساطة ـ فلماذا لا يستعد المراسل الصحفى . . ولماذا يسأل أسئلة هزيلة ؟ ولماذا يعرقل الأسلوب المتبع فى جمع الأخبار الطريق أمام تقديم تحقيقات إخبارية ناجحة ؟ فى السطور التالية محاولات للاجابة عن بعض ما سبق من تساؤلات .

فالحديث الصحفى فى هذا النقاش يكاد يكون مرادفاً لطرح الأسئلة . وبهذه الرؤية يزداد انتشاره فى عالم الصحافة . ومن الممكن تجنب الكثير من الصعاب إذا أدركنا أن بعض أشكال الحديث الصحفى ـــ مثل البرامج التليفزيونية التى تقدم حواراً فى ساعة متأخرة من الليل ، أو زيارة هادئة لشخصية كانت تشغل مركزاً مرموقاً فى الدولة لنشر قصة خاصة عنها فى جريدة

معينة ، أو ردود فعل رجل الشارع لحدث إخبارى معين ــ كل هذه تختلف اختلافاً واضحاً عن معظم الأحاديث الصحفية التى ينهمك فيها تماماً المراسلون الصحفيون ومصادر أخبارهم .

قد يكون ذلك نتيجة لانتشار المفهوم المثالى فى بعض الكتب الجامعية والذى يتساءل : « ما هو الأسلوب الذى يمكن أن يتبعه المراسل ليزيل التوتر عن الإنسان الذى يجرى معه الحديث ؟ » وهذا سؤال مضلل لسببين على الأقل :

(١) لأنه يفترض أن الإنسان الذى يجرى معه الحديث يجب ــ أو من الممكن ــ أن يزول عنه التوتر ، وهذا غالباً ليس الواقع . . فمعظم اللقاءات التى تتم لجمع الأخبار غير مريحة ، ويسودها التوتر . . قد تكون مرحة ، ولكنها فى الغالب تكون ذات طابع حزين ، وبذلك تصبح محاولة إشاعة الهدوء وإزالة التوتر متعارضة تماماً مع الوضع القائم . وغالباً ما تتم عملية جمع الأخبار فى أوقات عصيبة ــ حين يدافع مرشح سياسى عن الخطة التى يقترحها للاصلاح ــ أو يشرح رجل الشرطة السبب الذى من أجله أطلق ــ أو لم يطلق الرصاص ــ على متهم بالسرقة فى أثناء هروبه ــ أو كأن يحاول رجل متقدم فى السن ــ لم يسبق له أن شارك فى أية أحاديث صحفية ــ أن يشرح مفهومه للتضخم . . فالتوتر نتيجة للوضع القائم . وفى الأحاديث التى تقدم على شاشات التليفزيون ، وغيرها من اللقاءات التى يتم لها الاعداد ، يكون هدفها الأساسى هو إمتاع الجمهور ، ووضع مصدر الأخبار فى صورة مشرفة . وفى معظم المواقف التى يتم فيها جمع الأخبار يجب أن يتركز الاهتمام فى الحصول على المعلومات التى تهم الجمهور . . وفى أثناء ذلك يكاد يكون من المستحيل البعد تماماً عن التوتر .

(٢) والمسألة هى وجود بعض الحِيَل أو « الأساليب » التى يمكن أن

يستخدمها المراسل لإشاعة الهدوء ، وإبعاد التوتر عن مصدر الأخبار قبل أن يستخلص منه القصة : (أ) الابتسامة المهذبة . (ب) أن يقدم نفسه . (جـ) كأن يقول « هل تسمح لى بالتدخين ؟ » . (د) أن يبدى اهتماماً خاصاً بالشخص والموضوع . (هـ) أن يقدم مقعداً مريحاً لمصدر الأخبار . (و) أن يدوِّن ملاحظاته بغير تطفل . (ر) كأن يسأل ببساطة : « هل هذا الصبى الذى يلعب بالخارج ابنك ؟ أو أى شىء من هذا القبيل .

وليست هناك أية وسائل تحايل أو أساليب خاصة للأحاديث الصحفية . كما أنه ليست هناك صيغة معينة أو « وصفة » خاصة لكيفية كتابة القصص الاخبارية . فإجراء الحديث الصحفى عمل شاق يعرِّض المراسل لضغوط مختلفة ، للأسباب الآتية على الأقل : (١) ليفهم ما يريد مصدر الأخبار أن يقول . (٢) ليضع ما يقوله المصدر وفقاً لعلاقته الصحيحة مع ما صرح به من قبل ، أو مع ما يعلم المراسل أنه قد حدث بالفعل . (٣) ليفكر فى الأسئلة التالية لما يقوله المتحدث . (٤) ليقيِّم مدى صلاحية ما يقال للنشر . (٥) ليحاول تحديد مدى ثبات ما يقوله المصدر وصدقه ، وذلك بإعادة السؤال الواحد بطرق مختلفة . (٦) يفعل كل ما سبق بأسلوب يعطى الجمهور أقصى ما يمكن من مادة إخبارية صالحة ، سواء كان قارئاً أو متفرجاً أو مستمعاً .

وفيما يلى نموذج لمجموعة من الأسئلة الجيِّدة من برنامج إخبارى بعنوان « قضية مخاطر البلاستيك » ، وفيه يستجوب المراسل مورتون دين أحد الكيميائيين عن تأثير كلوريد الفينيل على العاملين فى صناعة البلاستيك :

د. ايرفنج تابرشو : حسناً . . أنا . . نحن . . لقد شرحنا أن هناك نسبة واضحة للوفيات بين العاملين فى هذه الصناعة بنفس القدر المتوقع فى أية قطاع مماثل من العمال . ثانياً . . وجدنا أن هناك زيادة

فى نسبة الاصابة بمرض السرطان . . زيادة لا يمكننى تحديدها . . لأن الأعـداد ضئيلة بحيث لا يمكننـا وصفهـا بأنها ذات دلالـة خاصـة . . ولكن هنـاك مؤشر فى هذه الدراسة يشير إلى أن إصابة العاملين فى هذا المجال بهذا المرض أكثر مما كنا نتوقع .

دين · دكتور تابرشو . هل تقبل اليوم العمل فى مكان يتعامل مع كلوريد الفينيل ؟

د تابرشو : لقد قلت « اليوم » . . وأعتقد أنه فى المواقع التى تمت تنقيتهـا ، المواقع التى أمكن التحكم فيها تماماً . . أستطيع أن أفكر جدياً فى العمل فيها

دين . هل توجد مثل هذه المواقع ؟

د. تابرشو : لا أعلم فى الحقيقة ولكنى أعتقد أنه من المسلم به أنه من الممكن إحكام الرقابة فى تلك المواقع . إلى الحد الذى يصبح معه العمل فيها آمناً ، وبعيداً عن الخطر .

دين حسن . . وما هو حد الأمان ؟

د. تابرشو . كنت أود أن أعرفه يا مستر دين [1] .

وهـذا الحـوار يستحق الفحص ، لأنـه من الأمثلة النـادرة للحـديث الصحفى الجيد . . وهو ممتع ــ لا للمعركة القائمة بين الخير والشر ــ ولكن لأن مورتون دين كان يعمل بجدية شديدة لإيجاد نوعية الأسئلة التى يجب أن تُسأل إذا كان للمشاهـد أن يحصل على أفضل المعلومات . وقد اتضحت الحاجة الملحة لمثل الأسئلة المرتبطة بوجود مواقع « آمنة تماماً » ، تم التحكم الكامل فى إيجاد المستوى الآمن كيميائياً للعاملين فيها ، فور النطق بالأسئلة . ومن سوء الحظ أن الكثير من المراسلين والعديد من المشاهدين كان من الممكن أن يقنعوا تماماً بإنهاء الحوار بعد قول د. تابرشو « إنه يستطيع أن يفكر جدياً فى أمر العمل فى المواقع الآمنة » .

ولنأخذ على سبيل المثال الأسئلة التافهة التى لا لزوم لها ، ما حدث عقب الإعصار الذى اجتاح مدينة كندية فى مقاطعة كويبك سنة ١٩٧٥ حيث أدى إلى مقتل طفلين صغيرين . . فقد قام كاهن الكنيسة الكاثوليكية الذى عمّد الطفلين منذ حوالى عام بمراسم وداعهما . . وكان سؤال مراسل التليفزيون للكاهن الذى بدا الحزن واضحاً عليه (باستخدام عدسة زوم) : ماذا كان شعورك ؟

وأحد مصادر الحيرة أمام ما يحدث فى الصحافة الحديثة هو استمرار المراسلين فى طرح مثل هذه الأسئلة التى لا تضيف أية معلومات ، حيث أن كل شىء يبدو واضحاً للجميع قبل طرح السؤال . . فكما كان متوقعاً . . لم يستطع الكاهن الإجابة عن السؤال . . مستبعداً بذلك تماماً أدنى شك كان من المحتمل أن يساور المشاهد فى أن موت الأحياء ليس شيئاً محبباً حينما نتأمله .

ومن المؤسف حقاً أن هناك العديد من العوائق فى طريق الأسئلة الجيدة ، عوائق تعرض السائل للمخاطرة . . مخاطرة أن يصبح منبوذاً فى المجتمع . فالضغوط التى تمارس ضد السؤال الجيد تشكل عائقاً يضاف إلى ما يصادف المراسل الصحفى من معوقات فى طريق تقديم معلومات ذات قيمة .

ولنفكر فى العديد من القواعد التى ساعدتك اجتماعياً : « الأطفال الصغار يجب أن يُشاهدوا ، لا أن يُسمعوا » ، « قد يظن الناس أنك مغفّل لو لم تقل شيئاً ، ولو فتحت فمك أثبتت هذه الحقيقة » ، أو « الصمت من ذهب » . . أو « حب الاستطلاع يقتل القطط » (ذات الأرواح السبعة) . كل هذه وغيرها تعتبر اثباتات للقيود الاجتماعية المفروضة ضد حرية التعبير . . ضد أسلوب الأسئلة . وحتى يصل الطفل إلى السنة الخامسة الابتدائية ، حينئذ غالباً ما يكون قد تعلم أنه لو سأل سؤالاً فإن : (١) زملاءه قد يظنون أنه يحاول مجرد لفت نظر المدرّسة . أو (٢) انه يُقدم على مخاطرة يثير بها نفو

المدرسة وذلك بتعريضها لموقف الجاهل . وهنا يبدو الصمت ـ ليس فقط من ذهب ـ ولكنه أيضاً أكثر أماناً .

ولو أننا تدارسنا معاً ما نسميه « سوسيولوجية السؤال » ، فما هى المخاطر وما هى المكافآت المرتبطة فى المجتمع بطرح الأسئلة ؟ المخاطرات متعددة . . فطرح السؤال قد يكون علامة جهل . . أو أنك لم تستطع أن تستوعب الموضوع ، أو أنك قد أخفقت فى فهم ما هو واضح للجميع (أو على الأقل أن الجميع كانوا أكثر منك فطنة فلم يطرحوا السؤال) . فطرْح السؤال قد ميَّزك ، إذ أنك قد غيرت من أساليب الاتصال ، وكذلك العلاقات القائمة ـ أياً كان نوعها ـ بينك وبين الآخرين المشتركين فى عملية تبادل المعلومات .

ففى سنة ١٩٦٣ عاد روبرت جراى مراسل الاسوشيتد برس من مؤتمر صحفى عقد فى ألبانى مع نلسون روكفلر حاكم نيويورك بهذه النادرة المتعلقة بطرح الأسئلة . . فقد كان روكفلر عائداً للتو من منزله فى أرجنتينا ، حيث كان يقضى شهر العسل مع زوجته الثانية هابى مورفى ، وكان جميع المراسلين يرغبون فى معرفة الكثير عن هذه الإجازة . . كيف بدت أرجنتينا ؟ هل قضى مع عروسه وقتاً لطيفاً ؟ كيف كان الطقس ؟ وهنا طرح « جراى » سؤاله : « كيف يمكن لزواجك من مطلقة وأم لأربعة أن يؤثر فى فرص نجاح حزبك فى انتخابات الرئاسة المقبلة ؟ »

وكما روى جراى النادرة ، فقد ابتعد عنه جميع المراسلين . . فأصبح وحيداً . . وحينئذ تلقى رداً مقتضباً ، قصيراً ، وقد يكون فظاً من الحاكم الذى ـ حتى تلك اللحظة ـ كان يقضى وقتاً ممتعاً بين أصدقائه من الصحفيين . وبذلك يتضح أن الضغوط التى تمارس منع نوعية الأسئلة التى يجب أن تطرح لا تمارس فقط داخل قاعات الدراسة .

(وللعلم ، فإنه من الملاحظ أن روكفلر لم يرشح فى الانتخابات عن الحزب الجمهورى الأمريكى سنة ١٩٦٤ . وقد رزق العروسان بابنهما الأول

إبان الانتخابات الأولية فى كاليفورنيا والتى خسرها روكفلر ، وكانت لصالح سيناتور بارى جولدووتر نائب أريزونا والمرشح النهائى عن الحزب الوطنى الأمريكى) .

وانت لا تحتاج إلى قدر كبير من الخبرة فى التعليم لتحكم على الموقف عندما تقابل مدرِّساً ساخطاً ، لأنه بعد أن قام بإلقاء ثلاث محاضرات فى موضوع واحد وحدد قراءات معينة فى الموضوع نفسه ، قد ووجه بطالب يطرح مزيداً من الأسئلة عن نفس الموضوع الذى اعتبره هو منتهياً . فالسؤال هنا يبدو كنوع من التهديد ، لأنه يظهر المدرس ـ بغض النظر عن الأسباب ـ فى وضع من لم يستطع شرح الموضوع كما يجب . . والشرح الجيد هو الهدف الذى يجب أن يحققه المدرس ، والذى من أجله يتقاضى أجره . . وللأسف ، فإن الطلبة يتعلمون بسرعة ألا يطرحوا أسئلتهم ـ حتى لولم يفهموا ما يقال . . وفى معظم الأحيان تكون النتيجة . . . مدرساً ساخطاً ، لأنه بعد أن قدم كل المادة المتاحة لديه ، لم يتقدم أحد بأية أسئلة .

وقد تشكِّل الأسئلة تهديداً كذلك ، لأنها قد توحى لمصدر الأخبار أن رؤيته للمشكلة ليست الرؤية الوحيدة ، وأن هناك بدائل ـ بل ووجهات نظر متعارضة ـ ذات قيمة . . فبعد أن يشرح مصدر الأخبار وجهة نظره ، فإنه يشعر بالرعب لأن المراسلين ـ أو غيرهم ـ مازالوا يخالفونه فى أفكارهم .

ولنتأمل حدثاً معيناً من أحداث انتخابات الرئاسة الأمريكية سنة ١٩٦٠ عندما كان انتماء الرئيس جون كنيدى إلى الكنيسة الكاثوليكية فى روما مشكلة لكثير من الشعب الأمريكى . . فقد قام د. جلين آرتشر عضو منظمة « البروتستانتية والاتحاد الأمريكى بفصل الكنيسة عن الدولة » بالقاء خطاب ضد جون كنيدى ، وضد المذهب الكاثوليكى ، وذلك فى كنيسة مترمتة فى مقاطعة « فريزنو » بولاية كاليفورنيا . وفور انتهاء د. آرتشر من خطابه ، وبعد أن ألقى بكل تحذيراته من تغلغل نفوذ بابا روما فى البيت الأبيض ، وقف شاب

من الحاضرين وسأل : « هل سوف يتقبل د. آرتشر الأسئلة ، أم أنه سوف يهرب منها معتقداً أننا جميعاً متفقون معه ؟ » .

وهنا صاح آرتشر قائلاً : « كل مكان أذهب إليه أقابل بقوم مثلك . . يحاولون تحطيم عملى ! » ولم تطرح الأسئلة . . ونصح القس المسئول عن تلك الكنيسة الجميع « بأن يعودوا إلى الروح المسيحية » . . متناسياً جميع الأسئلة التى كان قد أثارها السيد المسيح نفسه .

فى الوقت الذى نلقى فيه بالحجارة على مصادر الأخبار وكل من يقوم بدورهم ونديهم لدورهم فى عرقلة طرح الأسئلة الجيدة ، يجب علينا كذلك أن نفحص العوائق والعراقيل التى يخلقها المراسل . ففى معظم الأحوال لا يقوم المراسل بطرح الأسئلة الضرورية لأنه يعتقد أنه يعرف الاجابات . وقد نشرت جريدة « بَلتيمور سَنْ » ما اعتبرته فضيحة للحاكم مارفن ماندل لإساءته استخدام طائرات الهيليكوبتر الخاصة بالولاية . فقد وجد القائم بالتحقيق الصحفى بعض الأدلة التى تثبت أن الحاكم قد استخدم تلك الطائرات التى تملكها الولاية لأغراض شخصية وسياسية ، فقرر مراسل الجريدة فى المدينة ويليام شميك أنه ليس من الضرورى سؤال الحاكم عن الفضيحة لأن الموضوع كله كان بياناً وطنياً وشعبياً علنياً . . وهكذا ذهب الموضوع إلى المطبعة وظهر فى الجريدة . . ولكن الحالة لم تكن بهذه الدقة ، وكان لدى الحاكم بعض التفسيرات المنطقية والاجابات التى كان يجب أن تنشرها الجريدة ليراها القارىء فى الوقت نفسه الذى قدمت له فيه « الأدلة » ، وظهر مقال عن هذا الحدث فى جريدة « كولومبيا جورناليزم ريفيو » يحمل العنوان التالى : « لا توجد قصة على مستوى من الجودة لا يحتمل التحقق والمراجعة والفحص » [2].

(بينما أخفقت فضيحة استخدام الطائرات فى إحداث التأثير الذى كان مطلوباً ، فقد أدين الحاكم ماندل فى منتصف عام ١٩٧٧ بتهمة التزوير وابتزاز

المال ، وذلك لتورطه فى عملية سرية لشراء حلبة سباق . والظاهر أن جريدة « بلتيمور سن » كان لديها الموهبة السليمة ــ إن لم يكن الحقائق الصحيحة ــ فى موضوع الطائرات . . ولكن هذا يزيد من أسباب الدعوة إلى مزيد من الدقة فى عمل المراسل الصحفى) .

والقول المأثور الذى يتردد بين أروقة الصحافة « لا تدقق أبداً فى فحص القصة الجيدة » يقال دائماً بصوت غير مسموع ، وإذا تابعنا أساسه بدقة نجد عادة أنه نتيجة لشعور المراسل بقدر من الثقة فى صحة معلوماته ، ثقة تصبح معها المتابعة الدقيقة للموضوع غير مطلوبة . . فهو يعلم الاجابات ، فلا يعنيه طرح الأسئلة . . حتى يفوت الأوان . وفيما يلى مثل آخر يوضح تلك النقطة .

أطلقت الصحف على جريمة قتل تمت فى ألبانى « الذبح التعذيبى » ، لأن الضحية كان قد تم تمزيقها إرباً . ويبدو أن القاتل قد استخدم سكيناً ساخناً فى أجزاء من جسد القتيل سبَّبت حروقاً وجروحاً . . وبعد أربعة أو خمسة أيام من ظهور أخبار تلك الجريمة فى أماكن الصدارة من الصحف وبحروف واضحة ، خمدت القصة تماماً . . بلا أدلة ، ولا متهمين . ثم وُجد قتيل آخر ، وبدا أن جثته كانت ممزقة . . لقد ضرب « القاتل المعذب » ضربة أخرى . وذكرت الصحيفة المسائية أن أسباب الوفاة طبيعية ، وأن ما ظهر على الجثة من تمزقات ما هى إلا نتيجة لأنه لم يتم العثور عليها بعد الوفاة مباشرة . . فهى ظاهرة طبيعية لتحلل الجسد . وعندما سنحت الفرصة لمراسل صحفى لإحياء الموضوع بقصة ذات معنى ، حالت الضغوط المفروضة عليه لامداد الجريدة بالقصة فى الوقت المناسب قبل الطبع دون قيامه بسؤال المحقق عن سبب الوفاة ! فلا عجب إذن لو صفَّقنا استحساناً عندما يتقدم مراسل صحفى بالسؤال الهام .

لقد قدمنا حتى الآن بعض القصص وقليل من الملاحظات عن الأسباب

التى من أجلها يصعب فى معظم الأحيان طرح الأسئلة الجيدة . وقد نخرج بانطباع أنه متى وُضع إطار للسؤال الجيد ، انتهت المشاكل وحصل المراسل على القصة . . لا . . ليس كذلك . . تذكّر افتراضنا الثانى : إن كيفية جمع المراسل للأخبار من مصادره هى التى تحدد نوع المعلومات التى تصل فى النهاية إلى الجمهور . ولنفحص ثلاثاً فقط من الطرق المختلفة التى يجمع بها المراسل الأخبار من خلال الأحاديث الصحفية : بواسطة التليفون ، باللقاء وجهاً لوجه ، ومن خلال مؤتمر صحفى . . كل وسيلة من هذه الوسائل سوف تقدم قصة مختلفة ، أوعلى الأقل كل وسيلة لها ما يناسبها من القصص الاخبارية أكثر من الوسائل الأخرى . . فلكل وسيلة مزاياها وعيوبها .

ومن السهل عمل قائمة بمزايا الاتصال التليفونى فى هذا المجال . وفى الواقع لقد عبَّر البروفسور يوجين وِبْ صاحب المؤلفات القيِّمة للمراسلين [3] ، عبَّر عن يأسه من المبالغة فى الاعتماد على الاتصالات التليفونية فى هذا المجال ، وقد أطلق دعابة عن هذا الموضوع فقال : إن أى كتاب عن الأساليب التى يستخدمها المراسل فى جمع الأخبار يتكون من فصلين فقط : الأول هو « التليفون » ، والثانى « كل الوسائل الأخرى » !

وإذا كان لدى المراسل أسئلة واضحة ومحددة ، فاستخدام التليفون يصبح أفضل الوسائل . . فهو سريع وقليل التكاليف فى تغطية ما يسمى بالأخبار النمطية مثل تغطية أخبار دوريات الشرطة والمطافىء ، ومعرفة درجات الحرارة ، وتحديد مواعيد الاجتماعات الهامة ، ومعرفة بعض المعلومات التى تهم بعض القراء مثل كيفية استخراج رخصة رسمية لكلب ! ففى كل هذا يستطيع الإنسان أن يقطع مسافات لا يستهان بها باستخدام التليفون ؛ هذا بالإضافة إلى أن الناس فى الوقت الحاضر يبدو أن وقتهم يسمح بالمحادثات التليفونية أكثر مما يسمح باللقاءات الشخصية ، وذلك قد يكون لأن الحديث التليفونى يستغرق وقتاً أقل مما تستغرقه المقابلة الشخصية .

وكثير من المراسلين عندما تقول لهم سكرتيرة مسئول ما : « إنه لا يستطيع مقابلتك الآن » . . يذهبون إلى أقرب جهاز تليفون ، حيث يتصلون بذلك المسئول تليفونياً ويحصلون على المعلومات المطلوبة . ومن أغرب ما يمكن أن يحدث فى هذا المضمار هى المكالمات التليفونية التى تتم بين مراسل صحفى وبنك ، ليجرى حديثاً مع اللصوص الذين يقومون بسرقة البنك أثناء قيامهم بجريمتهم . وكذلك الاتصال التليفونى بمجرمين يحتجزون سكان منزل ما كرهائن . فمهما بلغت مشاغل الإنسان ، فهناك وقت لديه لحديث تليفونى قصير !

ومن مزايا الاتصال التليفونى كذلك أنه يسمح للمراسل بتسجيل نقاط الحوار بلا أدنى إرباك لمصدر الأخبار ، كذلك فإن مصدر الأخبار نفسه لا ينصرف انتباهه إلى مظهر المراسل أوملابسه ، بالإضافة إلى أن الطبيعة الموضوعية المجردة للحوار التليفونى قد تسمح للمراسل بطرح أسئلة أكثر حدَّة من تلك التى يمكن أن يطرحها لو كان الحوار يجرى وجهاً لوجه ؛ فأسوأ ما يمكن أن يحدث أثناء الحوار التليفونى هو أن ينهى مصدر الأخبار الاتصال فى لحظة فى حين قد لا يرغب المراسل فى طرح السؤال الحاد خوفاً من « وقوع أسوأ الاحتمالات » من الطرف الآخر ، فى أثناء إجراء الحوار وجهاً لوجه .

ومع استخدام التليفون ، لا يكون تكرار المكالمات مرتين أو ثلاث مرات لمعرفة المزيد من المعلومات شيئاً غير مألوف . . ولكن العودة إلى مكتب مصدر الأخبار أومسكنه للمرة الثانية أو الثالثة من المحتمل أن يكون بلا جدوى ، أوعلى الأقل مضيعة للوقت .

ميزة أخيرة : قد يحصل المراسل على مساعدة عامل تليفون متميِّز ممن يعملون فى مجال الأخبار أومن موظفى هيئة التليفونات ، حينئذ من المحتمل أن يقوم هذا الموظف بالدور نفسه الذى يقوم به أمين المكتبة فى معاونة الباحث عن كتاب معين ، فيعثر على مصدر الأخبار المطلوب للمراسل بالكفاءة نفسها

التى يعثر بها أمين المكتبة على الكتاب المطلوب للباحث . والمراسل الذى يعادى العاملين على أجهزة التليفون يقلل من قدراته وإمكانياته على أداء عمله بكفاءة ، بقدر لا يستهان به .

ومناقشة موضوع التليفونات يجب أن يتضمن ذكر الراحل هارى رومانوف ، وهو صحفى من شيكاغو عُرف باسم « هايفتز التليفون » لإبداعه طرقاً فى استخدام التليفون ، وإن كانت لا أخلاقية فى معظم الأحيان . وموطن قوته كان فى تمثيله لأصوات وشخصيات رسمية ، مستخدماً التليفون وذلك للحصول على المعلومات التى لا يمكن لمصدر الأخبار أن يبوح بها عادة لمراسل صحفى . ففى الوقت الذى ارتكبت فيه جريمة القتل الجماعى سنة ١٩٦٦ حين قُتل ثمانية من طلبة التمريض فى شيكاغو ، انتحل رومانوف شخصية محقق المدينة ، وانتزع من رجل الشرطة ـ عبر أسلاك التليفون ـ تفصيلات جريمة القتل . ثم تحدث إلى والدة المتهم ريتشارد سبيك منتحلاً شخصية محامى ابنها . وكما جاء فى القصة ، فقد اتصل رومانوف يوماً بمسرح الجريمة ، حيث انتحل شخصية المحقق ، مطالباً بمعلومات عن جريمة القتل . . ففوجىء بأن المتحدث إليه كان المحقق الحقيقى شخصياً .

وهذا يصل بنا إلى عيوب استخدام التليفون . . ومنها أن مصدر الأخبار لا يمكن أن يتكلم إلا فى جهاز تليفون واحد . والمراسل الذى يسعى بجدية للاتصال بمصدر للأخبار يسيئه أن يجد الخط التليفونى مشغولاً ، تماماً كما يسيئه ألا يحصل على إجابات عن أسئلته ، إذ أن الخط المشغول يوحى بأن مصدر الأخبار موجود ـ فى أغلب الأحيان ـ وقد يكون مشغولاً فى حديث مع مراسل صحفى آخر . . وفى هذه الحالة كل ما يمكن للمراسل عمله هو أن يضع السماعة . . ثم يعيد المحاولة مرة أخرى .

وعندما ينجح المراسل فى الوصول إلى مصدر الأخبار من خلال التليفون ، فهناك أشياء كثيرة لا يعلمها عن هذا المصدر ، منها : هل هو وحده

أم أن هنـاك أشخاصاً آخرين معه فى المكان يستمعون إليه ، ويؤثِّرون على ما يقول ؟ هل يتكلَّف الابتسام وهو يجيب عن أسئلة تبدو جادة ؟! لقد حدث كل هذا .

فى مدينة تيولير بكاليفورنيا ذهب مراسل صحفى إلى مكتب عمدة المدينة ليحصـل على معلومات عن حادث غرق ، وذلك من عمدة سريع الغضب والثـورة هو جيم فلوتى . . وبينما كان يتسلَّم المراسل منه تقريراً مكتوباً عن الحادث ، رن جرس التليفون ، وكان المتحدث أحد مندوبى الاذاعة المحلية فى دورته اليومية على مصادر الأخبار . كل ما أمكن المراسل سماعه من الحوار التليفونى فى أثناء قراءته للتقرير الخاص بالحادث كان الجزء الخاص بفلوتى . . وقد كان كما يلى :

إن الهدوء يسود المكان . لم تقع حوادث فى الطريق
لا ، لم تحدث سرقات .
لا ، لم تحدث عمليات سطو
لا ، لم ترتكب جرائم قتل ولا اغتصاب .
لا ، ليس هناك حرائق على حد علمى .
لا ، ولا اعتداءات .
نعم . . أعتقد أن الهدوء يسود المكان . هل تطلب شيئاً آخر ؟ . .
مع السلامة !

وابتسم جيم فلوتى .

والمراسلون الشبان لا تفوتهم مثل هذه الدروس ، ومن المحتمل ألا يكون الـدرس قد ضاع على منـدوب محطة الاذاعة عندما علم ــ بعد فترة ــ عن حادث الغرق . . وقد يدافع فلوتى عن نفسه بقوله إنه كان صادقاً فى جميع إجاباته عن الأسئلة التى طرحها المندوب .

والتحديد وُضع ضمن قائمة المزايا الخاصة باستخدام التليفون . فإذا أراد الإنسان الحصول على معلومات محدَّدة ، فمن السهل أن يحصل عليها بالاتصال التليفونى . ولكن القيود الموضوعة على مدة المكالمات التليفونية قد تحدد عدد الموضوعات التى يمكن للمراسل أن يغطيها باستخدام هذه الوسيلة . وإذا ظهر شىء غير متوقع ، أو إذا أراد المراسل متابعة بعض المعلومات الجديدة ، فقد لا يتاح له الوقت الكافى للقيام بهذا العمل بالمكالمات التليفونية .

والاتصال التليفونى ــ فى المعتاد وببساطة ــ لا يصلح لملاحقة الأحداث السريعة التى تستحق التغطية الاخبارية . فالأخبار ــ حسب ما جاء فى تعريفها ــ هى غير المتوقع ، غير الموضوع فى الاعتبار ، المفاجىء . . وكل هذا لا يحدث فى أماكن قريبة من أجهزة تليفون ، بالرغم من السهولة التى عثر بها المراسل الصحفى كلارك كنت على أجهزة تليفون كلما أراد ، مما أدى إلى قيامه بدور يشبه دور سوبرمان .

والاهتمام الذى ظهر حديثاً باستخدام وسائل اتصال غير شفوية ، يبرز عيباً جديداً لاستخدام التليفون . ففى حديث عبر الأسلاك ، تغيب تماماً كافة المعلومات فيما عدا ما يقال فى هذا الحوار الشفوى ، فى حين قد تكون هناك معلومات أخرى ــ من ردود فعل المصدر للسؤال المطروح ــ ذات فائدة كبيرة فى تفسير المراسل لها ، وبالتالى ذات قيمة واضحة فى دقة المعلومات المقدمة إلى الجمهور . فالمعلومات الوحيدة التى يحصل عليها المراسل من خلال التليفون هى الوقت ــ أو فترات الصمت التى تتخلل إجابات مصدر المعلومات . وفيما عدا ذلك فليس لدى المراسل فكرة عن نوعية سلوك مصدر الأخبار وتصرفاته ، كما أنه لا يمكنه أن يتخيَّل تعبيرات وجهه أو حركات جسده ويديه التى تعبر عن معان كان يمكنه أن يوصلها إلى الجمهور .

والعيب الأخير الذى يستحق أن يُذكر هو أنه من السهل على مصدر

الأخبار أن ينهى الحديث التليفونى فجأة بقوله : « أنا آسف ، يجب أن أترك المكـان فوراً . . إلى اللقـاء » . وهذا أسهل كثيراً من التخلص من المراسل الصحفى باخراجه من المكان أو التهرب ممن يُطلَق عليهم « مُطاردو الأخبار » .

فاستخدام التليفون إذن لا يختلف كثيراً عن أية أداة أخرى ، فهو يصلح لبعض المهام ولكنه لو استخدم بلا حرص ، نتجت عنه بعض المشاكل . وهذا ينـطبق كذلك على الأحاديث التى تتم وجهاً لوجه ، فهناك مزايا وعيوب فى العمل مع مصدر جديد للأخبار فى لقاء وجهاً لوجه ، ففى هذه الحالة يسمح وقت المراسل الصحفى بأن يغطى جميع الموضوعات التى يتطرق لها الحديث ، كما أن الملاحظات التى يبديها مصدر الأخبار يراها المراسل ضمن مجموعة من الظروف المحيطة بالمصدر ، وليس من خلال صوت بلا شخصية عبر أسلاك التليفون ؛ ويصبعب على مصدر الأخبار ، أن ينهى الحوار . كما أنه يمكنه أن يوضـح النقـطة التى يتحدث عنها باستخدام رسومات بيانية ، أو يعزز رأيه ببعض الأدلة ويعرضها على المراسل ، وبذلك قد يستطيع المراسل الصحفى أن يوجـد علاقـة أفضـل بينه وبين مصدر الأخبار باستغلال الوقت والطاقة المتـاحـين له فى أثنـاء المقابلة الشخصية (ومن المهم للمراسل أو المحرر أن يتقابل ــ بين حين وآخر ــ وجهاً لوجه مع مصادر الأخبار التى يتعامل معها فى العادة من خلال أسلاك التليفون) ، ومن المحتمل أن يكون الاتصال بمصدر الأخبار فى أثناء معايشته لحدث إخبارى معيَّن أسهل من الاتصال به تليفونياً .

العيوب قليلة . . ولكنهـا هامـة . اللقاءات الشخصية قد تستلزم وقتاً أطـول ومـالا أكثـر ، وكلاهما قد لا يكون متوافراً . فجزء لا يستهان به من المعلومات المتبادلة فى أثناء اللقاء وجهاً لوجه ــ مثل المجاملات الاجتماعية ، والحديث عن الطقس والتعبير عن الأمانى الطيبة ــ تستغرق وقتاً ولا تسهم بأى قدر فى الحصول على المادة الصالحة للنشر كأخبار .

بينما يكون هناك احتمال تكوين صلات فى أثناء المقابلة الشخصية أفضل من تلك التى تتكون بالاتصال التليفونى ، فقد تظهر بعض المشاكل فى أثناء اللقاء . فعلى أقل تقدير قد تصرف شخصية المحرر ـ أو المراسل الصحفى ـ انتباه مصدر الأخبار ، وعلى أسوأ الفروض ـ قد تكون شخصيته مستفزة للمصدر ، سواء لمظهره ، أو بعض الحركات التى تصدر عن قسمات وجهه فى أثناء الحديث ، أو بعض تصرفاته التى تحدث عن غير وعى منه ، ولا يستطيع التحكم فيها . واعتماد المحرر أو المراسل الصحفى على الحديث التليفونى اعتماد مبالغ فيه . وما هو إلا محاولة للتكيف مع الوضع عندما يتعذر اللقاء الشخصى . وفى أثناء الحديث التليفونى ، يمكن لكلا الطَرفين أن يبتسم ، أو يقطب جبينه ، أو يتثاءب ، أو يعبر بقسمات وجهه أية تعبير دون أن يدرك الطرف الآخر ما يحدث : وتلك التعبيرات نفسها قد يكون لها تأثير مدمِّر لو ظهرت فى أثناء اللقاء الشخصى .

ولكن الاعتماد المبالغ فيه على الحوار التليفونى لم يكن هو الذى سبب المشاكل عندما حاول لويس روكايسر أن يجرى حديثاً صحفياً مع إليوت جينواى المعلق الاقتصادى ، وذلك من خلال البرنامج التليفزيونى وول ستريت ويك أو « أسبوع وول ستريت » ، ولكن المبارزة الكلامية التى جرت بينهما فى أثناء البرنامج تصوِّر المشاكل التى تحدث عندما يشاهد الجمهور أن الحرارة التى تتولد من الحوار بين المحرر ومصدر الأخبار أقوى كثيراً من الضوء . لقد كان روكايسر يسعى لمناقشة موضوع تنبؤات جينواى بأن متوسط الإنتاج « دو ـ جونز » Dow-Jones قد يهبط ٢٠٠ درجة ليصل إلى ٤٢٥ . لم يبدأ بداية موفقة عندما لقب جينواى بأنه « أحد أكثر الأمريكيين مثابرة فى التنبؤ بالقدَر » .. ولكن جينواى كان يقاطعه حتى قبل أن يستطيع أن يكمل ما كان ينوى قوله وهو : « إن جينواى لم يكن يحب أن يلقب برسول القدر » .

ومنذ تلك اللحظة لم يحظ المشاهد بقدر يذكر من المعلومات .

وفيما يلى مقتطفات من ذلك الحوار :

روكايسر : منذ أكثر . . أكثر من خمسة أعوام كنت تتحدث عن ٤٢٥ . . أى بزيادة طفيفة عن . . ٤ . . أرجو أن تسمح لى بالانتهاء من السؤال . . فمذ أكثر من أربع سنوات .

جينواى : أنت لا . . أنت لا . . أنت لا تطرح سؤالاً

روكايسر : سوف أسأل . .

جينواى : أنت تدلى بتصريح . . أنت تتحدث عن حديث صحفى أجراه معى فارتان لجريدة « نيويورك تايمز » . .

روكايسر : لا . . أنا أتحدث عن برنامج إذاعى لنا معاً ــ أنت وأنا ــ سنة ١٩٦٩ ــ منذ أكثر من أربع سنوات ــ وفيه تنبأت بانهيار وشيك فى السوق . .

جينواى : نعم .

روكايسر : وحدث العكس تماماً .

جينواى : آه . . ماذا . .

روكايسر : وفى الشتاء الماضى . . فى الشتاء الماضى . .

جينواى : انتظر لحظة . ما هى الحقيقة ؟ .

روكايسر : هل ممكن أن أطرح سؤالى ؟

جينواى : لا . . أنت . . ماذا تظن أنك . .

روكايسر : دعنى . .

جينواى : . . لقد كان جو ماكارثى محققاً لتحالف كبير إذا قورن بهذا الافراط غير المنصف فى تبسيط الحقائق . . إفراط يؤدى إلى التشويه . .

روكايسر : إننى أقتبس فقط ما سبق أن تنبأت به أنت .

جينواى : والآن . . بعض الهدوء . .

وهكذا جرى الحوار ، حتى نهاية البرنامج ، حين قال روكايسر : « خلا

السنوات الخمس التى قمت فيها بتقديم هذا البرنامج . . هذه هى أقل الأسئلة التى تمكننا من طرحها . . أظن أن هذه حقيقة تتحدث عن نفسها »[4]

ومن المشكوك فيه أن النزاع بين روكايسر وجينواى كان من الممكن تجنبه لو أن لويس روكايسر كان فى متناول يده « أشياء يستطيع أن يقوم بها ليزيل الاضطراب عن الطرف الآخر ويبعث على إشاعة الهدوء والاسترخاء » . وقد اعترف روكايسر بأن البرنامج لم يُضف إلى المشاهد الكثير من المعلومات الجوهرية . ومثل هذا التقييم الصريح والصادق لا ينتج عادة عن الوسيلة الثالثة للأحاديث الصحفية ـ وهى المؤتمرات الصحفية .

من الصعب إيجاد ميزة للمؤتمرات الصحفية تستحق الذكر بالنسبة للمراسل الصحفى الكفء . وهذا قد يكون أحد الأسباب التى من أجلها يعقد العديد من موظفى الحكومة ومسئولى القطاع الخاص المؤتمرات الصحفية حتى يمكنهم ـ من خلال تلك المؤتمرات ـ خلق اصطلاح « الحدث الزائف أو الكاذب » ـ أى الحدث الذى يتم اختراعه لخلق نوع من الاهتمام بالأخبار ، فى حين أنه لا يوجد شىء يستحق الاهتمام .

وموظف الحكومة يعتبر المؤتمر الصحفى ذا قيمة لطبيعة الحدث وما يرمز إليه ، وقد يكون هذا سبباً وجيهاً لاستمرارية تلك المؤتمرات ، حيث يحدث فى بلدنا هذا أن يعرِّض المسئول الرسمى نفسه لاختبارات ، وذلك باجابته عن أسئلة غير ضرورية أو حتى ذات طبيعة عدوانية .

وإحدى مزايا المؤتمر الصحفى أنه يتيح الفرصة للمراسل أن يصل إلى الشخصية المسئولة . وميزة أخرى لبعض المحررين ، هى أنه يتيح لهم الفرصة ليجلسوا ببساطة ويستمعوا ، ويدوِّنوا ملاحظاتهم ، فى حين يقوم غيرهم من المراسلين بالعمل وإلقاء الأسئلة . . ولكن معظم المزايا الأخرى يتمتع بها مصدر الأخبار . فعادة ، هو الذى يختار من يسأل السؤال ، كما يحدد زمن

الاجابات ، وفى استطاعته أن يمنع أى شخص من متابعة موضوع بعينه وطرح مزيد من الأسئلة عنـه . . وغالباً ما يحدد الزمان ، والمكان ، والفترة الزمنية التى يستغرقها اللقاء . كما يمكنه ببساطة أن يعيد صياغة الأسئلة العنيفة كما يشاء .

والمؤتمـر الصحفى يجعـل حصول المراسل على معلومات ذات قيمة أمراً صعبـاً . . أصعب مما لو استخـدم الاتصال التليفونى أو قابل المسئول وجهاً لوجه ، لأن المؤتمر الصحفى يجعل الافتراضين اللذين ذكرناهما فى هذا الفصل لا علاقـة لهما بالموضوع . فقد افترضنا أن المراسل الصحفى إذا قام بإعداد وطرح أسئلة جيِّدة ، فقد يحصل على قصة اخبارية أفضل . . ولكن فى المؤتمر الصحفى ــ وخـاصـة إذا كان مؤتمـراً ضخماً ــ ففى هذه الحالة لن يتمكن المراسل من توجيه سؤاله ــ وهناك احتمال أن يتجنبه الحاضرون معتبرين إياه شخصاً مثيراً للمشاكل . . وبالطبع لن يستطيع توجيه سؤال خاص بمتابعة موضوع معين إذا لم يحسن مصدر الأخبار الاجابة عن السؤال الأول الخاص بذلك الموضوع . والافتراض الثانى يتعلق بالرباط بين نوعية الأخبار وكيفية الحصـول عليها . . والمؤتمر الصحفى يسد الطرق أمام المراسل الصحفى ، لمصلحة مصدر الأخبار .

والآن حان الـوقت لدراسة ما يستطيع المراسل أن يقوم به لتمهيد كافة الطرق أمامه ليتمكن من الحصول على أكبر قدر من المعلومات التى تستحق النشر والتى تهم قارئه ، أو مشاهده أو مستمعه ، حتى لو أخذنا فى الاعتبار التحذيرات السابقة عن الاعتماد على الحيل أو الخدع المستخدمة فى الحصول على معلومات ذات قيمة . فالمراسل يستطيع أن يفعل الكثير فى سبيل الحفاظ على العلاقة بينه وبين مصدر الأخبار لصالح جمهوره . ولنحدد فيما يلى قدرات المـراسـل الصحفى فى ثلاثة مجالات : الاعداد ، إدراك مدى كفاءة مصدر الأخبار ، وطبيعة الأسئلة .

الاعــداد

لقد قيل عن ديفيد س. برودر المراسل الصحفى ومحرر العمود الخاص فى « الواشنطن بوست » إنه مراسل « يؤدى جميع واجباته المنزلية »[5] . . وهذا المحـرر المحترم يستحق مثل هذا الوسام . . ولكن إذا فكّرنا جيداً فى تلك العبـارة ، وجـدنا فى هذا التكريم اتهماً لمئات من المراسلين والمحررين . . فالـعــوامــل التى تميز برودر وغـيره من المـراسلين المتميزين هو دراستهم للموضوعات وإعدادهم الجيِّد لكل ما يقدمونه قبل كتابة أعمدتهم وقصصهم الاخبارية . ومن المؤسف أن الأمر الواقع غالباً هو أن ما يميز معظم المراسلين الصحفيين الجيدين عن زمـلائهم الأقـل كفاءة هو أن المتميز والأفضل يهتم بما يقدم إلى الحد الذى يجعله « يؤدى جميع واجباته المنزلية » .

وطبيعـة التغـطية الاخبـارية تحتم على المـراسـل أن يكـون مطلعاً على الأحـداث الجـارية . . فكل محترف ، وفنان ، يجب أن يكون لديه أحدث ما وصلت إليه المـادة التى يتعرض لها ، والاختلاف الوحيد هو أن فى حالة المـراسـل الصحفى ــ فإن المـادة التى يتعامل معها هى ــ بأوسع المعانى ــ « الحالة الإنسانية » . وفى حين نرى هذه المادة شديدة الاتساع ، فهناك ميزة ، وهى أن معظم ما يقرأه المراسل أو يشاهده من الممكن أن يكون مادة تصلح للتغطية الاخبارية المطلوبة .

ولنكن أكثـر تحديداً . . فالمـراسـل يستـطيع أن يستغل مكتبة الجريدة أو المكتبة العامة ، وكذلك الدوريات المنتظمة التوزيع لتنشيط وتطوير معلوماته عن كافـة المـوضـوعات ، من أخبار حلف شمال الأطلنطى إلى أخبار طرق التخلص من مياه البالوعات . . وبعض الاستعداد أفضل من عدم الاستعداد مطلقــاً . . وأغلب المـراسلين لا يستعـدّون ولـو بقـدر ضئيل من الإعـداد لأحاديثهم الصحفية ، بالرغم من أنه ليس هناك استثمار له عائد أكبر من عائد القليل من البحث الـذى يقـوم به المـراسل الصحفى . وعدد غير قليل من

مصادر الأخبار وهب قدراً لا يُستهان به من حياته لتحقيق رسالة معينة ، أو له اهتمامات وأنشطة واسعة النطاق من الممكن أن يشرك المراسل الصحفى فيها . ومعرفة المراسل بتلك الرسالة أو هذه الأنشطة والاهتمامات ، وإظهاره لتلك المعرفة ، غالباً ما يجعل مصادر الأخبار أكثر تجاوباً مع أسئلته ، ولو لمجرد أن تلك المصادر تكون قد قابلت العديد من البشر الذين لم يظهروا أى اهتمام بأنشطتها أو اهتماماتها وأهدافها .

والإعداد يوفر الوقت ، إذ أن معرفة خلفية مصدر الأخبار قبل اللقاء يتيح للمراسل الفرصة لإعداد أسئلة تكون الاجابات عنها مادة تستحق النشر ، وذلك أفضل من أن تكون الاجابات التى يحصل عليها المراسل مجرد معلومات عن سنة ميلاد مصدر الأخبار ، ونوعية الشهادات الدراسية التى حصل عليها .

وقدر ضئيل جداً من الاعداد مفيد فى كونه يضع ملاحظات وتعليقات مصدر الأخبار فى مكانها المناسب . ففى برنامج « فى مواجهة الصحافة » تحدث ضابط الشرطة إدوارد م . ديفيز ضد فرض حظر على اقتناء البنادق . وفى رده على سؤال ألقاه محرر العمود الثابت جيمس ج . كيلباتريك ، قال ديفيز : إن ٣ ٪ فقط من الجرائم التى تُرتكب تستخدم فيها البنادق ، ولذلك فإن تأثير أى قانون يصدر للحد من اقتناء تلك الأسلحة يكون ضئيلاً جداً على الجرائم . وأشار كيلباتريك إلى أن هذه النسبة (٣ ٪) مضلّلة ، لأن البنادق لا تستخدم فى سرقات السيارات وجرائم أخرى كثيرة . ثم أضاف كيلباتريك قائلاً : « إن حوالى ٥٣ ٪ من الـ ٢٠ ألف جريمة قتل التى ترتكب سنوياً فى الدولة تتم باستخدام البندقية اليدوية »[6] . لقد كان تبادلاً بسيطاً لوجهات النظر ، ولكن المشاهد حصل على معلومات أكثر ، وذلك لكفاءة كيلباتريك فى إعداد أسئلته ، كفاءة زادت من وضوح اجابات ديفيز .

وإذا كان المراسل الصحفى فى سبيل إجراء حديث صحفى مع شخص

ما عن موضوع معين مثل التعدين والمناجم ، فمن البديهى أنه يجب أن يقرأ فى هذا الموضوع قبل لقائه مع المسئول . وإذا كان فى سبيل إجراء الحديث مع مصدر جديد للأخبار لتحديد معالم شخصيته ، فعليه أن يدرس خلفية تلك الشخصية قبل لقائه بها .

ولنبحث معاً فى حديث صحفى أجرى مع المطربة والنجمة الراحلة ايثيل ووترز ، حيث اعترفت فى سيرتها الذاتية « عيناه على العصفور » أن أمها حملت بها تحت تهديد سلاح جونى ووترز . وهذه النوعية من المعلومات ساعدت القارىء على فهم شخصيتها فهماً أفضل ، ولكنها ليست بالنوعية التى يمكن كشفها فى لقاء موجز .

كفاءة مصدر الأخبار

إن الاستعداد لإجراء حديث صحفى يتضمن بعض التفكير فى مدى كفاءة مصدر الأخبار . وكثير مما يقدم فى نشرات الأخبار من الممكن تقديمه بصورة أفضل إذا سأل الصحفى نفسه باستمرار : ما هى الموضوعات التى يمكن لمصدر الأخبار أن يتحدث فيها بكفاءة ؟ ما هى المادة التى يمكننى الحصول عليها منه لقرّائى دون غيره ؟

عندما كان نيل ارمسترونج على وشك أن يصبح أول إنسان تطأ قدمه سطح القمر ، سنحت الفرصة لمراسل أن ينقل حديث مع والدته فى منزله فى « واباكونيتا ــ أوهايو » عبر شبكات التليفزيون . . فماذا كان سؤاله لوالدة أول رجل يضع قدمه على سطح القمر ؟ ما هى نوعية الأخبار التى كان يمكن أن يكشف عنها السؤال ؟ كان من الممكن أن يخرج السؤال : « فى الوقت الذى يستعد فيه نيل لوضع قدمه على سطح القمر ، ما هى ذكرياتك عن طفولته ؟ . . تلك الذكريات التى تفرض نفسها على تفكيرك فى هذه اللحظات ؟ أو : ما هى أغلى ذكرياتك عن طفولته ؟ » فمثل هذه الأسئلة

تعطى مسز آرمسترونج الفرصة للاجابة بمعلومات لا يمكن لغيرها أن يمد الجمهور بمثلها . . وهذه النوعية من الأسئلة قد تقدم مادة ممتعة ومثيرة لجمهور مشاهدى التليفزيون وقراءة الصحف على حد سواء . .

ولكن مقدم البرامج الاخبارية فى التليفزيون سأل مسز آرمسترونج سؤالاً بهذا المعنى : « إلى أى مدى تعتقدين أن المهمة سوف تكلل بالنجاح ؟ » أما سؤاله لوالد نيل فقد كان : « ماذا تظن الروس يفعلون هناك ؟ » (ففى ذلك الوقت كانت روسيا قد أطلقت مركبة فضاء إلى القمر) . جاءت إجابات مستر ومسز آرمسترونج ـ كما كان إلى حد ما متوقعاً ـ غير ملائمة وتدل على قدر من الارتباك . إنهم يؤمنون ويثقون فى قدرات الفنيين والمهندسين الذين أشرفوا على هذه المرحلة . . إنهم قادرون على إعادة ابنهم سليماً . . وإنهم يشكون فى نوايا الروس . . هذا هو كل ما قيل . فالفشل فى طرح أسئلة جيدة نتج عنه إجابات غير ذات قيمة ، وتكاد تكون بلا فائدة ، فى الوقت الذى كان من الممكن لأقوال الوالدين أن تضيف لحظة رائعة للتغطية الاخبارية التى تمت للرحلة إلى القمر .

فالأسئلة الجيدة تشجِّع مصدر الأخبار ، وتتيح له الفرصة ليقول للمراسل الصحفى كل ما يفكر فيه ، وليس ما يظن أن المراسل ـ أو آخرين ـ يريدون سماعه . والأسئلة المدروسة تساعد المراسل كذلك على تجنب بعض الاجابات المكررة أو المتوقعة التى يرددها المصدر بحكم العادة . والتحدى الذى يواجه المراسل الصحفى ليس فقط أنه يجب أن يضع فى الاعتبار الموضوعات التى يمكن لمصدر الأخبار التعليق عليها بكفاءة ومقدرة ، ولكن عليه أيضاً أن يسعى لايجاد طرق جديدة لفتح الموضوعات التى يعلم أن مصدر الأخبار على علم دقيق بها . فكثير من مصادر الأخبار قد اشتركوا فى أحاديث صحفية مراراً متعددة إلى الحد الذى أصبحوا فيه يعرفون نوعية الأسئلة المتوقعة ، فيجيبون عليها بطريقة آلية .

عندما تم التعارف بين نجم الكوميديا جيمى دورانت وأحد المراسلين الشبان ، أملى جيمى عليه القصة التالية :

حسن يافتى . . هذا هو ما يجب أن نفعله . . تبدأ بهذا القول المقتبس . . وأملى دورانت القول المقتبس ، ثم أملى بقية القصة على المراسل ، وأخيراً قال : « ثم انتهى الموضوع بهذا الجزء المقتبس أيضاً » . . وأملى دورانت جملة أخرى مقتبسة لينهى بها القصة .

وكتب المراسل القصة كما أملاها عليه دورانت بالضبط . . لأن الموضوع كله بهذه الصورة كانت له نكهة خاصة تنم عن شخصية دورانت التى لم يكن من الممكن نقلها أو التعبير عنها إلا بهذه الصورة .

ومن التحديات التى يقابلها المراسل قدرته على أن يجعل مصدر الأخبار يتعامل مع الموضوعات التى تبدو مستهلكة بأسلوب حديث ، وعندما ينجح فى ذلك ، فإن مصدر الأخبار يستمتع بخبرة منعشة ، ويحصل المراسل على قصة أفضل . أما القارىء أو المشاهد أو المستمع ، فيحصل على معلومات جديدة لم يسبق نشرها .

وعند تقييم كفاءة مصدر الأخبار ، على المراسل أن يأخذ فى الاعتبار ــ ليس فقط حجم خبرة المصدر وسعة اطلاعه ولكن أيضاً الأسلوب الأمثل للحديث الصحفى الذى يمكنه عن طريقه الوصول إلى معرفة المعلومات المطلوبة : وقد تكون قراءة المقالات التى كتبها المصدر من أفضل الوسائل ، كما يمكن للمراسل الحصول على معلومات أخرى عن طريق الحديث مع أصدقاء ذلك المصدر أو نقَّاده . . كما قد يحصل على بعض المعلومات بمجرد ملاحظة ما يجرى بدقّة وبلا أسئلة على الاطلاق .

ومن النصائح المضللة التى قد تعطى للمراسل هى « أن الأطفال يقولون أشياء عجيبة » . وقد نشر آرت لينكلتر الشخصية التليفزيونية تلك المقولة من خلال ما يجرى على لسان الأطفال المشتركين فى برنامجه من عبارات تنم عن

الذكاء ، وسعة الحيلة ، وسرعة البديهة . ولكن المراسلين الصحفيين الذين قاموا بإجراء أحاديث مع أطفال مختلفين حصلوا على إجابات متكررة مثل « لا أعلم » . . « أعتقد ذلك » . إن قوة ملاحظة المراسل تكون ذات فاعلية أكثر عند كتابته قصصاً عن الأطفال ، وليس بمجرد طرح بعض الأسئلة عليهم . فإذا أردت أن تعرف مدى استمتاع الأطفال المعوّقين بزيارة حديقة الحيوان مثلاً ، فعليك أن تشاهدهم هناك ، لا أن تطرح عليهم بعض الأسئلة .

طبيعة السؤال

لقد بدا هذا البند من نشرة الأخبار مثيراً ، عندما قال المذيع : « لقد اتهم أعضاء الكونجرس الديمقراطيون والجمهوريون بعضهم البعض بالتورط فى قضية . . » وأضاف مذيع النشرة الاخبارية مزيداً من المعلومات عن التهم المتبادلة ، ثم رأى المشاهد على الشاشة مندوب التليفزيون ، وهو يجرى حديثاً مع أحد الأعضاء البارزين فى الحزب الديمقراطى : سؤال : هل تظن الجمهوريين يحاولون توريطكم فى هذه الفضيحة ؟ وكما يحق للبعض التنبؤ . فالديمقراطى لم يضيع الفرصة ، ليوافق على أن الحزب الجمهورى الأمريكى يقوم فعلاً بتلك المحاولة .

والجزء التالى عرض مقدم البرنامج الاخبارى ، وهو يتحدث إلى أحد أعضاء الحزب الجمهورى . سؤال : هل تظن أن الديمقراطيين يحاولون فعلاً توريطكم فى هذه القضية ؟

وعند هذه اللحظة ، اتضح أن ما قد بدأ كبند من بنود الأخبار عمن هو المسئول عن غيبة التصرف بأسلوب ديمقراطى جمهورى سليم ، ليس إلا حدثاً زائفاً ناتجاً عن نوعية السؤال الذى طرحه مقدم البرنامج الاخبارى .

وحقيقة أنه خبر يستحق النشر ، ان رجال السياسة ــ عندما أعطيت لهم

الفرصة للاتفاق أو الاختلاف على أن المعارضة قد جانبها الصواب ــ قد اتفقوا على أن المعارضة ــ فى هذه الحالة ــ كانت فعلاً تحاول التوريط .

والأمر ليس دائماً بمثل هذا الوضوح ، ولكن فى المعتاد يتحكم أسلوب طرح المراسل لسؤاله فى نوعية الإجابة التى يحصل عليها . وهناك ملاحظات بسيطة يمكن إبداؤها على موضوع الأسئلة :

(١) عندما نجيب عن أية أسئلة ، فإننا عادة ندرك تماماً ما يريد السائل سماعه . . وفى معظم الأحيان نجد أننا قد قلنا ــ ليس ما نفكر فيه ــ ولكن ما نظن أنه يريد سماعه .

(٢) غالباً ما يتم طرح الأسئلة بأسلوب متوقَّع حتى أن إجابات المسئول ــ أياً كانت ــ لا تخرج عن الموضوع (ما رأيك فى الحرب ؟) . وهذا يجعل المقارنة بين إجابات المصادر المختلفة أمراً صعباً .

(٣) كثير من الأسئلة تطلب من الطرف الآخر أن يقدم اختيارات قائمة على الافتراض وغير واقعية .

وعلى المراسل الصحفى أن يتجنب كل هذه الفجوات ــ وغيرها ــ فى أثناء جمعه للأخبار من مصادرها المختلفة . كيف يمكنه القيام بذلك ؟ إحدى الوسائل هى أن يتجنب السؤال الذى لا تحتمل الاجابة عنه إلا « نعم » أو « لا » ، وأن يختار الأسئلة التى تسمح لمصدر الأخبار بمرونة الاجابات . فبدلاً من أن يسأل : « ما هى المشاكل التى ترى ــ من وجهة نظرك ــ أنها سوف تترتب على نقل الأطفال إلى مدارسهم بالسيارات العامة ؟ » يمكن للمراسل أن يطرح سؤاله كما يلى : « ما هى المناقشات التى قد تدور لمساندة أو معارضة البدء فى نقل أطفال المدارس بالسيارات العامة فى الخريف القادم ؟ » فالسؤال الأول يحدد الاجابة ، فى حين أن السؤال الثانى يسمح

بإجابات مختلفة ، كما يحدد الوقت والمكان اللذين يجب على مصدر الأخبار أخذهما فى الاعتبار عند الاجابة . وتشير بعض الدراسات التى أجريت فى علم السلوكيات أن المجيب من المحتمل أن يكون أكثر أمانة فى نقده إذا أعطى الفرصة لذكر بعض الايجابيات عن الموضوع المطروح للنقد .

عند طرح سؤال : « إما هذا . . أو ذاك » ، على المراسل أن يدرك إمكانية وجود عدد من البدائل لدى مصدر الأخبار . فنحن نضع سؤالاً مثل : « هل تنتخب مرشح الحزب الديمقراطى أم الجمهورى ؟ » ونستبعد تماماً العديد من الاحتمالات الأخرى ، بما فى ذلك إن كان من نوجه له السؤال سوف يشترك فى الانتخابات على الاطلاق .

وفى مناقشتهما حول موضوع الأحاديث الصحفية قام وب وسالانيك بأبحاث قيّمة حول موضوع كيف يمكن للمراسل الصحفى أن يحسّن أسئلته :

(١) أن يتجنب استخدام الكلمات التى تحتمل أكثر من معنى ، وكذلك طرح السؤال بصورة غير واضحة أوملتبسة ، كما يتجنب استخدام الاصطلاحات المشحونة بالعواطف .

(٢) أن يتجنب الأسئلة الطويلة .

(٣) أن يحدد بالضبط الزمان والمكان والمضمون الذى يرغب فى أن يأخذه المجيب فى الاعتبار . فإذا أراد من مصدر الأخبار تعليقاً على الفلسفة العامة التى تفرضها قوانين الحكومة على الاعلان مثلاً ، فليقل هذا .

(٤) إما أن يعلن بوضوح عن كل البدائل التى يجب أن يفكر فيها مصدر الأخبار عند الاجابة ، أو لا يذكر منها شيئاً . . كما أن عليه ألا يوحى لمصدر الأخبار بالاجابات التى يريدها هو .

(٥) من العوامل المساعدة أن تكون الأسئلة مرتبطة بالخبرات الحديثة والمباشرة لمصدر الأخبار ، وذلك أفضل كثيراً من ارتباطها بالعموميات [7] .

وفى النهاية ، يجب على المراسل الصحفى أن يتذكر أن الأسئلة المتعلقة بمتـابعة موضوع ما مهمة ومطلوبة ــ وفى معظم الأحوال ــ مفيدة . . ومن المحتمل الا يجيب مصدر الأخبار عن السؤال الأول ، ولكن إجابته عنه قد تثير مزيداً من الأسئلة الهامة .

وقد لا يستطيع المراسل أن يتوقع كل الأسئلة التى يمكن طرحها ، ولكن إذا كان قد أعد السؤال الأول جيداً ، فسوف يكون من السهل طرح الأسئلة التالية التى تمكّنه من وضع القضية موضوع الحديث على الطريق السليم وفى المكان المناسب بالنسبة له ولجمهوره . فكلما كانت مادة السؤال جيدة ومناسبة زادت مقدرة المراسل على الحصول على أفضل الاجابات وأصدقها . . فعند طرحه سؤالاً جيداً ، لا يجمع المراسل معلومات أفضل لجمهوره فقط ، ولكنه أيضاً يستطيع أن يختبر مصدر الأخبار بصورة أفضل .

مطـالعـات مقتـرحة

Newman, Robert P., and Newman, Dale R. *Evidence.* Boston: Houghton Mifflin Company, 1969.

Rivers, William L. *Finding Facts.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1975.

Webb, Eugene J., and Salancik, Jerry R. *The Interview or the Only Wheel in Town,* Journalism Monograph No. 2, 1966. see bibliography, pp. 41-49.

Webb, Eugene J. et al. *Unobstrusive Measures: Nonreactive research in the Social Sciences.* Chicago: Rand McNally & Company, 1966. See bibliography, pp. 187-215.

٤

إمداد مصدر الأخبار بالمعلومات وحمايته وتعزيز موقفه

فيما يلى ثلاث وجهات نظر مثيرة عن دور المراسل الصحفى فى مجتمعنا فقد كتب بن هيكت الكاتب المسرحى والروائى عن نفسه عندما كان مراسلاً صحفياً ناشئاً فى شيكاغو فى أوائل القرن العشرين ما يلى :

معلوماته . . لاشىء تقريباً .
إنجازاته . . صفر .
كان خلواً من الطموح . . خلو السمك من الريش .
أساء فهم نفسه . . كما أساء فهم العالم من حوله .
لقد ظن أن الصحافة لعبة يلهو بها الأطفال .

لقد كان عاشقاً للحياة ، كعشق النملة للغصن الأخضر فى صيف حار [1] .

أما روى فيشر الذى كان محرراً فى جريدة « شيكاغو ديلى نيوز » قبل أن يصبح عميداً لكلية الصحافة بجامعة ميسورى ، فقد كانت نظرته أكثر شمولاً لما يفعله الصحفيون ورجال الإعلام فى مجتمعنا فى السبعينات :

إن وسائل الإعلام هى التى تخدم المجتمع بكل طبقاته . . فهى التى تعطى الغوغاء الفرصة أن يصبحوا مجتمعاً . . وللمجتمع القدرة على أن يصبح حراً [2] .

أمـا ويليام ريفـرز الأستاذ بجامعة ستانفورد الذى كتب كثيراً عن دور المراسل الصحفى فى المجتمع ، فقد سجّل التعليق التالى :

إن أكثـر المشـاكـل صعوبة فى الصحافة هو : تحديد موقف المراسل الصحفى السليم تجاه المصدر الذى يستمد منه الأخبار [3] .

وتشبيه بن هيكت لصحافة زمنه « بأنها لعبة يلهو بها الأطفال » بما يحمله هذا المعنى من مغامرات متهورة ، ومؤذية ، يبدو تعبير دقيق بقدر ما هو مثير فى الوقت نفسه . فمصادر الأخبار ما هى إلا عوامل مساعدة وجدت أساساً لتمكن المـراسـل من أن يقـوم بعمله بقـدر أكثـر من الذكاء . وذكر بعض المقتطفات مما أدلى به مصدر الأخبار من أقوال ، هى الدليل على أن المراسل لم يفتعـل المـوضـوع كله . ولكن البراءة ، وعدم النضج التى سمحت لأمة صغيرة أن تطلق العنان لمراسل صحفى مثل بن هيكت قد ضاعت ـــ كما ذكر

بن هيكت نفسه [4] ، فى أثناء الحرب العالمية الأولى .

والعلاقة بين المراسل الصحفى ومصدر الأخبار أصبحت الآن علاقة معقّدة ، كما ظهر من تعليق دين فيشر . فالنتيجة المرجوة من القصة الاخبارية الحديثة فى الوقت الحاضر ، ليست بالضرورة إشباع غرور المحرر وإمتاع الجمهور . . فالمراسل ـ أو المحرر ـ ومصدر الأخبار يتعاملان مع بعضهما البعض بأسلوب أكثر جدِّية ، فى كل الظروف والأحوال .

والمقالات التى نشرت فى نقد الصحافة فى أعقاب صدور الميثاق القومى الديمقراطى فى شيكاغو سنة ١٩٦٨ ، انتقدت الإعلام لعدم دقة الأخبار التى يحصل عليها ، ووصفته بأنه يشبه « لعب الأطفال » ، إذا قورن بأساليب الخداع التى كان يستخدمها جيل هيكت . فالبرامج التليفزيونية مثل « فى مواجهة الصحافة » و« مشاكل وحلول » وغيرها ، ومئات من كتّاب الأعمدة الثابتة اليومية البارزين هم الدليل على أن ما يؤديه مجال الإعلام من الخدم لا يمكن اعتباره مجرد كلام ، أو نفاق ، بالنسبة لفكرة أن أسلوب الحكم الم لدينا يحتاج إلى جمهور واعٍ ، وقادر على الحكم الذاتى .

وقد تكون مرحلة ووترجيت فى التاريخ الأمريكى ، واستقالة الرئيس نيكسون ، هى الرمز الأكثر وضوحاً لمولد الأخبار كصناعة جديدة ، ذات تأثير قوي ، لها القدرة على الفحص الدقيق للأفكار والدوافع والمشاعر ، صناعة يضعها كل من الجمهور ، ومسئولو الحكومة تحت منظار فحص دقيق .

وعندما يكتب ريفرز عن رجال الأخبار وموظفى الحكومة « كأعداء » أو يناقش فيشر العلاقة بين وسائل الإعلام والمجتمع الحر ، فإن تعليقاتهما تعكس التغيرات الاجتماعية ، والتغيرات الأخلاقية ، والتغيرات التى طرأت على المراسل الصحفى ، ومفهوم الدور الذى يقوم به .

وتنفيذ أحكام الأمر القضائى بالمثول أمام المحكمة على المراسل الصحفى ، وكذلك أحكام السجن . . وتنكر رجال الشرطة وانتحالهم

شخصية رجل الأخبار وغير ذلك ، كلها تشكل جزءاً من السؤال المثار حول علاقة المراسل الصحفى بالمصادر التى يحصل منها على الأخبار .

وما يهمنا فى هذه العلاقة هو ما يلى : (١) كيف يمكن لهذه العلاقة أن تؤثر على ما أطلقنا عليه « عملية جمع الأخبار » والتى تعتبر جزءاً من سلطة الصحافة . (٢) كيف يمكن أن تؤثر على ما يصل من مادة إخبارية فى النهاية إلى الجمهور .

وهذا الفصل سوف يدرس هذه العلاقات من ثلاثة أوجه : المراسل وهو يمد مصدر الأخبار بالمعلومات . . ثم المراسل وهو يحمى مصدر الأخبار . . ثم وهو يعزز مركزه . وربما ما يأتى بعد ذلك سيتركنا نتوق إلى الأيام المزدهرة عندما لم يكن لدى المراسل أى مشاكل أو أى متاعب « وكان عاشقاً للحياة كعشق النملة للغصن الأخضر فى صيف حار » . إن تلك الأيام لم تمض إلى الأبد . فما زالت عملية جمع الأخبار عملية مثيرة وممتعة ولكنها أصبحت أيضاً أكثر تعقيداً ، وهذا يرجع جزئياً إلى أن المجتمع أصبح يتطلب أكثر من المراسل كما أن المراسلين يتطلبون أكثر لأنفسهم . وليس هناك حلول سهلة ، ولكن بحثنا فى العلاقة بين المراسل ومصدر الأخبار يمكن أن يوحى لنا ببعض الأسئلة التى يمكن أن تثار .

إمداد مصادر الأخبار بالمعلومات

قد يصدم المراسل أحياناً عندما يجد نفسه مضطراً لأن يخبر مصدر الأخبار الذى يتعامل معه بمعلومات كان من المتوقع أن يكون المصدر على علم بها .

على ساحل كاليفورنيا وقع حادث لقارب ، راح ضحيته شخص وأصيب آخرون . وبعد بضع ساعات اتصل مراسل جريدة محلية بمنزل الغريق ، وهو متأهب نفسياً لسماع صوت حزين ، لا يكاد يسمع .

ويفكر المراسل أنه لوكان جميع أفراد الأسرة فى حالة اضطراب شديد ، فربما استطاع الحصول على المعلومات المطلوبة من أحد الجيران . . ولكنه يفاجأ بصوت مرح يرد على التليفون . وبدلاً من أن يحصل على المعلومات التى يريدها ، يجد نفسه مضطراً لأن يخبر الطرف الآخر بأنباء الحادث الذى راح ضحيته أحد أفراد الأسرة . . ثم يبدأ فى محاولة الحصول على مزيد من المعلومات من مصدر آخر .

وفى ولاية أخرى ، تسبب سقوط طائرة حاصة فى مصرع سيدة . . ويقرأ المراسل الصحفى قصة الخبر فى « الاسوشيتد برس » ، فيتصل بأسرة الضحية لمعرفة المزيد من المعلومات .

ولكنه لا يحصل على أية معلومات ، لأن كل من فى المنزل لا يعلمون شيئاً عن الحادث حتى لحظة اتصاله بهم . . وحينئذ يُطلب منه أن يكرر الاتصال فيما بعد .

الأمثلة السابقة هى صور مأساوية لما يمكن أن يكون عليه دور المراسل الصحفى لو قُدِّر له أن يكون مصدراً للمعلومات لمن كان من المتوقع أن يكونوا هم مصدراً للأخبار .

ومن الواضح أن تبادل المواقع ـ كما فى حالة أخبار الوفاة [5] ـ وضع غير مريح للمراسل الصحفى ، الذى تعوَّد على د[illegible]امع للأخبار وناقل لها إلى الجمهور . . فيتحول فجأة إلى مصدر للأخبار ، يمد الناس بمعلومات كان من المفروض أن يكونوا هم مصدرها . . أليس هذا هوعمل المراسل الصحفى أساساً ؟

لا . . ليس الأمر كذلك فى الواقع ، فالمراسل الصحفى فى المعتاد يعبر عن رأيه ووجهات نظره وتوقعاته عن غير قصد ، كما هو موضح فى الفصل السابق . . وأحياناً يتبادل الأخبار مع زملائه بشىء من التعمد أحياناً . . وعن

غير عمد فى أحيان أخرى . وبالتأكيد المتزايد على التخصص فى مجال الحصول على الأخبار قد يصبح رجل الأخبار مصدراً قيِّماً للمعلومات بالنسبة لموظفى الحكومة الذين يبحثون عن حلول لمشاكلهم .

عندما قتل دونالد بولز مراسل جريدة « فينيكس أريزونا ريبابليك » لشئون التحقيقات فى يونيه ١٩٧٦ بقنبلة نسفت سيارته . فمن المحتمل أن تلك الجريمة قد ارتكبت لأنه كان يعرف الكثير عن مخططات التزوير الخاصة بالأراضى فى أريزونا . فقبل ذلك بأربع سنوات أدلى بولز بشهادته أمام اللجنة المختارة من قِبل مجلس النواب الأمريكى للتحقيق فى الجريمة . . فمن خلال عمله كمراسل صحفى أصبح خبيراً فى العلاقات بين اتحاد « بفلو » للمشروعات الجريئة ، ونيويورك ، والجرائم المنظمة ، وسباق الكلاب فى أريزونا .

ولم يُدل جيمس ريسر بشهادته أمام الكونجرس ، ولكنه كان معروفاً بمعلوماته عن الفساد القائم فى صناعة تصدير الغلال . . وقد اعترف ريسر الذى فاز بجائزة بوليتزر للصحافة القومية سنة ١٩٧٦ لفضحه فساد تلك الصناعة ـ اعترف بأنه كان يشعر بالضيق عندما سأله أعضاء الكونجرس عن رأيه فى وقف تنفيذ القوانين والمقترحات المقدمة لمقاومة فساد تجارة الغلال ، وكان شعوره بالضيق مرجعه إلى وجهة نظره بالنسبة لخطورة موقفه ، وخوفه من أن يصبح طرفاً فى قصة إخبارية ، يقوم هو بتغطيتها . وكان الحل ـ جزئياً ـ بالنسبة له هو أن يناقش البدائل المطروحة أمام الكونجرس ، ويشارك فى الأبحاث المستفيضة مع مسئولى الحكومة . . . ولكنه توقف تماماً عند مساندة السياسة العامة فيما يتعلق بمن كانوا مصدراً يستمد منه الأخبار .

لقد كان كل من بولز وريسر يتمتع بميزتين على الأقل ، لا تتوافران دائماً لمراسلى الصحافة الذين يعملون من خلال مصادر الأخبار . فقد كانا يعلمان أن الأشخاص الذين يتحدثان معهم يبحثون عن معلومات تفيدهما فيما

بعد . . وكان لديهما أيضاً حق الاختيار ، إما أن يجيبا عن الأسئلة المطروحة أم لا . . وفى حالة الإجابة ، كان لهما كذلك حق تحديد المعلومات والآراء التى يرغبان فى إمداد المصادر بها .

وعلى أية حال ، فإن سجلات المحاكم للسنوات القليلة الماضية تشير إلى أن مراسلى الصحف يُطلب منهم أحياناً الإدلاء بما لديهم من معلومات تحت التهديد بالحبس ، لو لم يذعنوا لأوامر المحكمة . وقد كان للتخصص الذى يتسم به عملهم وقدرة الكثيرين منهم على الوصول إلى المجموعات المنشقة عن المجتمع ، ما أغرى رجال القضاء ، والنائب العام ، ورجال الشرطة وغيرهم من موظفى الدولة المسئولين على محاولة الحصول منهم على المعلومات سواء كان ذلك باستدعائهم للمثول أمام المحكمة ، أو بإقامة دعاوى قضائية مخزية ضدهم ، أو أية وسائل قانونية أخرى .

والتعريفات الجديدة للعلاقات بين رجل الأخبار ، ومصدرها ، والتى تفرض أحياناً على المراسلين ، هى تعريفات تمثل رمزاً وعلامة فى الوقت نفسه للدور المتغير الذى يقوم به المراسل فى مجتمعنا .

فى ربيع سنة ١٩٧٣ ، أجرى جيمس مون المصوِّر الصحفى « بالاسوشيتد برس » حواراً مع موظفى وكالة المخابرات الأمريكية بعد التقاطه بعض الصور الفوتوغرافية فى أثناء الاحتلال الهندى لداكوتا الجنوبية . وبعد سنة من هذا الحدث تم فصل مون من « الاسوشيتد برس » لأنه « تصرف بأسلوب لا يليق بصحفى نزيه » . . وقد قال ويز جالاجر رئيس مجلس إدارة الاسوشيتد برس ومديرها العام « إن تورط أياً من رجال الاسوشيتد برس فى قصة إخبارية أمر ضد سياستها تماماً » [6] .

وهذا مثل للسياسة المحددة الدقيقة . . فقد اعتبر مون أن « الدردشة » التى دارت بينه وبين رجال وكالة المخابرات الأمريكية ليست إلا مجرد تمضية للوقت ، وأنها تقوم بتسهيل مهمته كرجل أخبار فإذا أخبرناهم (رجال وكالا

المخابرات الأمريكية) شيئاً ليس بجديد ، فسوف يظنون أن هناك من يتحدث إليهم ، فيتركون الطريق مفتوحاً إلى الجزء المحتل من داكوتا الجنوبية [حتى يستطيع مراسلو الصحافة الاستمرار فى الذهاب هناك] [7] .

وأعطى مون رجال الوكالة تقديراً لعدد الأشخاص والأسلحة التى فى القرية المحتلة ، ولكنه كذلك فى أثناء تأدية عمله ، تحدث مع زعماء الهنود معطياً إياهم ما اعتبره معلومات « مأمونة » . وعلى سبيل المثال ، قال مون إنه قد أخبر دينيس بانكس وراسيل مينز أنه بعد حوالى ساعة بعد إنكار الحكومة لوجود ناقلات قوات مسلحة فى « مارتن » بداكوتا الجنوبية ، التقط مون صوراً فوتوغرافية لأكثر من ٢٠ ناقلة فى « مارتن » .

وبينما الكثير من المعلومات التى تقاسمها مون مع زعماء الهنود ورجال وكالة المخابرات الأمريكية بُلِّغت إلى الصحف ، فقد سُجِّل مون فى تقرير لوكالة المخابرات « كمصدر موثوق به ، ويتمتع بالحصافة » . وقد طالب مون بألا يدرج اسمه فى التقارير ، إذ أنه لا يرغب فى الإدلاء بشهادته فى المحكمة . وعندما تم اعتبار مون كمصدر من مصادر وكالة المخابرات الأمريكية بعد مرور عام ، أوقف عن العمل ، ثم فصل ، لأنه رفض تقديم استقالته لانتهاكه سياسة الاسوشيتد برس لتورطه بالمشاركة فى قصة إخبارية .

وسياسة الاسوشتيد برس ، إذا تم انتهاجها حرفياً ، فسوف تستبعد الجزء الأكبر من العاملين فيها فى جميع أنحاء الدولة ، وكذلك الجزء الأكبر من القوى العاملة فى وسائل الإعلام الأخرى . فمراسلو الصحف متورطون فى القصص الاخبارية لمجرد تغطيتهم إياها ، إذ أن الطريقة التى يغطى بها المراسل حدثاً ما غالباً ما تحدد شكل الأخبار التى تصل إلى الجمهور . . والاختبار المتميز للمراسل ليس هو « تورطه بأى صورة » ولكن كفاءته فى دقة ملاحظة الموضوع وتسجيله بأسلوب حساس ، مع الحد من تدخله بقدر الامكان فى الحدث فى أثناء الكشف التدريجى عن تفصيلاته .

وما يعنى وكالة الاسوشتيد برس وغيرها من وكالات الأنباء هو دور المراسل الصحفى كدور مساعد لمصالحها الأخرى . فمثلاً فى ربيع سنة ١٩٧٦ تم فصل جاك سروجى من جريدة « ناشفيل تينيسيان » لاقتناع الجريدة بأنها قد استخدمت وضعها الوظيفى فى إمداد وكالة المخابرات الأمريكية بمعلومات عن المنشقين . . وربما عن بعض زملاء المهنة أيضاً .

ودور المراسل كوسيط لمصادر الأخبار من النادر أن نراه مطبوعاً فى الذاكرة كما هو واضح وضوحه فى حالة توم ويكر بجريدة « نيويورك تايمز » عندما ذهب سنة ١٩٧١ إلى سجن « أتيكا » فى شمال نيويورك ، ضمن المجموعة التى دعاها نزلاء ذلك السجن من المتمردين للوساطة بينهم وبين إدارة السجن ، وذلك للوصول إلى قرار بشأن شكوى نزلاء السجن ، وإنهاء الاضطرابات . ويروى ويكر قصة ذلك الحدث المؤلم فى حياته العملية فى كتابه « وقت للموت » (كواردانجل ــ نيويورك تايمز) قائلاً : « لقد قتل ٤٣ شخصاً ، كلهم ــ باستثناء واحد ــ بأسلحة رجال القانون ، وذلك عندما فشلت المفاوضات وتمت السيطرة مرة أخرى بالقوة ــ على ساحة السجن » .

ويبدو أن وضوح الرؤية الذى تمتع به ويكر ، وفهمه لدوره كوسيط فى أتيكا هو الذى حال دون سوء استخدام دوره كمراسل صحفى ، وقد علم القراء مسبقاً بانهماكه التام فى هذا الموضوع . وفى معظم الأحيان يمكن تمييز دور المراسل الصحفى كوسيط أو كمصدر للمعلومات ، ووصفه بأنه : **لا إرادى ، غير متعمَّد . . أو خبيث** .

وإحدى النقاط التى تم إبرازها فى الفصل السابق هى أن المعلومات أو الاتجاهات التى تصل إلى مصدر الأخبار عن غير قصد أو بلا تعمُّد ، من الممكن أن تؤثر فى تشكيل القصة الاخبارية ، كما تؤثر فيها المعلومات التى تصل بتعمد أو بأسلوب تآمرى . ومرة أخرى ، لا توجد إجابات سهلة ،

فيجب على المراسل أن يشارك مصادر الأخبار فيما يعرفه من معلومات ، ويحيطهم بها علماً ، لكى يحصل لجمهوره على إجابات أكثر شمولاً . فالمراسل ليس مجرد خط اتصال ، يحصل على المعلومات من مصدر ما يوصلها إلى آخر . . بل هو مشارك فى عملية اتصالات هامة ومعقدة . فإذا أدرك مدى حساسية دوره فى التأثير على الأحداث فى أثناء قيامه بعمله ، فسوف يقدم إلى جمهوره أفضل الخدمات .

حماية مصادر الأخبار

قد يحمى المراسل مصدر الأخبار ، وذلك بالدفاع عن سمعته ومصداقيته ، أو بالاحتفاظ باسمه وعدم البوح به . . وهو قد يفعل ذلك بدافع من أنانيته (على سبيل المثال ليصون سمعته من خطر التحديات التى تهدد كفاءته وقدرته على نقل الخبر عن ذلك المصدر) . وقد يحمى المراسل مصدر الأخبار بناء على طلبه . . أو لصالح الجمهور . . وفى كل ما سبق من احتمالات فإن ما يهمنا هو حمايته لصالح الجمهور . . ولكن فلنبحث أولاً الاحتمالات الأخرى .

لصالح المراسل نفسه

إن القول المألوف بأن كفاءة المراسل الصحفى من كفاءة مصدر الأخبار الذى يستمد منه معلوماته هو قول مبتذل . . فمن الطبيعى أن تصبح فائدة المراسل ضئيلة جداً بالنسبة للمكان الذى يعمل فيه ولجمهوره ، إذا اعتمد على مصدر أخبار غير دقيق ، أو مغرض ، أو مضلل ، أو غير موضوعى . فالأسلوب المتبع فى قراءة الصحف والاستماع إلى نشرات الأخبار المذاعة هو الذى يجعل جمهور القراء يعتبر أن الجريدة هى المسئولة عن الخطأ المنشور وليس مصدر الأخبار . . وكذلك يعتقد جمهور المستمعين والمشاهدين أن محطة

الاذاعة أو الارسال التليفزيونى هى المسئولة عن الخطأ ، وليس المصدر الذى استمدت منه الأخبار .

وعندما يجلب المراسل الصحفى قصصاً إخبارية مشكوكاً فيها ، فقد يتعرض لمساءلة رئيس التحرير أو المحرر الاخبارى ، عن مدى صدق مصدر الأخبار ودقته . . وهو اختبار ذو شقين : هل مصدر الأخبار موثوق به ؟ هل المراسل يتمتع بقدر كاف من الادراك والتمييز يتيح له معرفة ما إذا كان المصدر الذى يتعامل معه عادة بثقة كاملة ، من الممكن أن يضلّله ؟

إن تقييم المراسل لمصدر الأخبار أمر هام ، لأن المجال الإخبارى من الممكن أن يستخدم ببراعة شديدة فى خدمة المصدر . . فإذا كانت القصة الاخبارية تحتمل الجدل ، فمن المحتمل أن يكون هناك العديد من « مصادر الأخبار الموثوق بها » والتى لها وجهات نظر أخرى . وسوف تصل وجهات النظر المخالفة تلك إلى الصحافة ، وقد تحظى بمزيد من الاهتمام من المنافسين فى هذا المجال .

وإذا كان من الضرورى تعديل قصة ما أو توضيحها أو تصحيحها ، لأن مصدر الأخبار لم يكن على علم بأساسها ، فمن المحتمل أن يعتبر المراسل الصحفى فى هذه الحالة ذا فائدة أقل ، لأن مصدر الأخبار الذى يستمد منه مادته ليس أهلاً للثقة ، أو لأنه لم يستطع أن يدرك ويميز أنه قد خُدع . . ولأنه فى بعض الأحيان يثق فى كفاءة مصدر أخباره ثقة تصل إلى حد المخاطرة بالاتجاه إلى مساندته فى صالة التحرير ، وفى المادة المطبوعة ، وذلك بإعطاء قليل جداً من الاهتمام لوجهات النظر المخالفة له ، حتى عندما تتزايد الأدلة على خطأ ذلك المصدر فى تلك الآونة . وأسوأ ما يمكن أن ينتج عن هذا الاتجاه هو أنه يضع فى مقدمة اهتماماته اعتبارات كلها ذات ميزات قصيرة الأمد مثل الحفاظ بقدر الامكان على سمعة الجريدة ، وسمعة المراسل ومصدر الأخبار ، أكثر من

اهتمامه بما هو أهم على المدى الطويل مثل مصداقية الجريدة ، ومسئوليتها تجاه جمهور القراء .

مساعدة مصدر الأخبار

قد تسعى مصادر الأخبار للحصول على حماية أو مساندة المراسل الصحفى بطرق متعددة : فقد يطلبون مراجعة القصة الاخبارية قبل نشرها أو إذاعتها . . وقد يطلبون عدم إذاعة أو نشر بعض التعليقات ، أو عدم الافصاح عن شخصياتهم .

ومن المألوف على مستوى الجامعات والمعاهد العليا ــ وليس فى الصحافة التجارية ــ أن يطلب مصدر الأخبار الاطلاع على القصة الاخبارية قبل الطبع ــ وقد يرفض مجرد التعليق إلا إذا أعطى الضمانات الكافية بما سبق . وهو يعلل موقفه هذا « بهدف الدقة المطلوبة فى القصة الاخبارية » . وفى معظم صالات التحرير ــ على أية حال ــ توجد مجموعات كبيرة متفقة تماماً فى ممارسة ضغوطها على المراسلين حتى لا يخضعوا لمثل هذه الرغبات . وممارسة هذه الضغوط لها أسباب كثيرة منها ما يلى :

(١) الكفاءة المهنية : إذا لم يستطع المراسل الصحفى المحترف إجراء أحاديثه مع الناس ومراقبة الأحداث وتسجيلها بأمانة ، فقد لا يصلح ذلك الإنسان أن يكون مراسلاً صحفياً على الاطلاق . . فهو لا يستطيع ــ بل يجب عليه ألا يفعل ــ أن يتهرب من حمل مسئولية كل ما يسجله ، كما يجب عليه أن يقدر مسئوليته ويقبلها ، ولا يحاول أن يهرب من أعبائها بقبوله مراجعة مصدر الأخبار لما سجله فى قصة الخبر .

(٢) العدالة : إن الرجوع إلى مصدر الأخبار للحصول على موافقته على القصة الاخبارية ، قد يكون غير منصف وغير عادل إلا إذا كان فى استطاعة

المراسل أن يقوم بنفس التصرف مع جميع مصادر الأخبار . وقد يكون ذلك أسلوباً غير عملى ، كما قد يؤدى إلى تصرف متحيز من جانب المراسل ، بالاضافة إلى أنه قد لا يكون مناسباً للأسباب السابقة واللاحقة .

(٣) الهدف : يختلف هدف المراسل عن هدف مصدر الأخبار . . فهدف المراسل ليس هو ــ لا فى المقام الأول أو الثانى ــ إبراز مصدر الأخبار فى أفضل صورة . . ومع ذلك فإن هذا هو ما يعتزم المصدر عمله إذا قام بالاطلاع على القصة ومراجعتها .

(٤) الحصول على المعلومات : فى بعض الحالات ــ وبخاصة تلك التى ترتبط بوكالات عامة أو شخصيات رسمية ــ فإن طلب الاطلاع على المقال ومراجعته قبل النشر يتعارض مع حق المواطنين فى الحصول على المعلومات والاستفادة منها .

(٥) عامل الوقت : تقوم وكالات الأنباء بعملها « اليوم » ، ويبدو من الحماقة أن يتأخر موضوع إخبارى من المفترض أن يصدر بكفاءة عالية ــ لكى يقوم بمراجعته مصدر للأخبار ليتأكد من أنه « صحيح ومضبوط » .

والنقاط السابقة لا تعنى أن المراسل الصحفى لا يجب أن يراجع البنود التى تبدو له غير واضحة أو غير مفهومة ، بل يجب عليه أن يفعل ذلك باستمرار مع مصدر الأخبار إذا كان هناك مجرد شك فى دقة أى بند من بنود الأخبار .

وقد يطلب مصدر الأخبار عدم تسجيل بعض التعليقات قائلاً انها : « ليست للنشر » . . وهنا يجب ذكر ملاحظتين : (١) أحياناً يطلب عدم تسجيل التعليق « لأنه ليس للنشر » فى بعض الاجتماعات العامة أو فى حضور عشرات من البشر . . وفى هذه الحالة لا يمكن أن تكون تلك التعليقات ليست للنشر ، وعندئذ يجب إخطار المصدر بذلك ، إذ أن من حق الجمهور معرفة ما حدث تماماً كما عرفه عشرات الحاضرين . (٢) إذا طلب مصدر

الأخبـار عدم نشر مادة معينـة ووافق المـراسل على ذلك ، فيجب أن يكون واضحاً لكل منهما ما هى المعلومات التى « ليست للنشر » بدقة شديدة ، وذلك لخلفيات معينة فقط . . وقد يكون مألوفاً أن يتحدث مصدر الأخبار بمعلومات بعضها للنشر والبعض الآخر ليس للنشر ، تاركاً رجل الأخبار فى حالة ارتباك لعدم وضوح المادة التى يمكن استخدامها فى قصته الاخبارية من غيرها .

قد يقول مصدر الأخبار شيئاً ، ويدرك فجأة أن قوله كان خطأ ، وهنا من الممكن أن يطلب من وسيلة الإعلام عدم تسجيل ما قال . وقد حدث فى أثناء انعقـاد الهيئـة التشريعية فى ولاية أوهـايو أن أشـار أحد الأعضاء إلى بعض المواطنين قائلاً إنهم « يعملون كالزنوج » . . وفور نطقه بهذه العبارة قال إنه لم يكن يقصـد ما قال ، ثم أضـاف تلك الكلمات : يجب ألا تفسر تفسـيراً عنصرياً ، وأنـه سوف يشعـر بامتنـان شديد لو لم تنشر وسائل الإعلام ذلك التعليق . . ولكن جريدة « دى موينز » Des Moines نشرت التعليق ، مع تفسير العضو ورجائه بعدم النشر . لقد قيلت العبارة فى أثناء اجتماع عام ، وقـالها عضو مُنتخب ، وقد تم كذلك تسجيل محاولته للتراجع . . وببساطة شديدة لم يكن هناك أسباب قوية تدعو إلى عدم نشر ما قد قال .

أحياناً تتم « تنقية » اللغة التى تستخدمها بعض الشخصيات الرسمية أو من يكتبـون رسـائل إلى المحررين ، وذلك بواسطة المراسلين أو المحررين للتخلص مما بتلك الرسائل أو التصريحات من أخطاء لغوية أو ألفاظ سوقية . وعملية « التنقية » التى تتم ليست بالضرورة لحماية مصـدر الأخبار ، فعادة ما يكون التبرير لها هو أن التعليق الذى ذكره مصدر الأخبار يصبح أكثر وضوحاً وأقـرب إلى فهم القارىء ، أو أن الجمهور سوف يعترض بشدة على الألفاظ المستخدمة فى الأصل .

والمنـاقشـات الدائرة حول نشر تصريحات الشخصيات الرسمية أو عدم نشرها بلغت ذروتها فى خريف سنة ١٩٧٦ عندما تم تعريف وزير الزراعة إيرل

أ. بوتز بأنه أحد أعضاء وزارة فورد الذى صرح بتفسير فاضح للسبب الذى من أجله لم يقر الحزب الجمهورى الأمريكى (GOP) الاقتراع على مشروع قانون الملوّنين . وقد نُشرت التعليقات كما ذُكرت بالحرف الواحد فى عدد قليل من الصحف . وفيما يلى نصها كما ظهرت فى جريدة « دى موينز ريجستر » أثناء الاضطرابات التى أدت إلى استقالة بوتز فى شهر أكتوبر :

سوف أقول لكم لماذا لن تستطيعوا اجتذاب الزنوج . . لأن الزنوج لا يريدون إلا ثلاثة أشياء : هل تعلمون ما هى ؟! سوف أقول لكم ماذا يريد الزنوج . . أولاً : رداء ضيق (ثم لفظ قذر وفاحش) — ثانياً : أحذية غير مربوطة باحكام . . وثالثاً : مكان دافىء لكى (ثم لفظ سوقى) .

ثم أضافت الجريدة : « اللفظ القذر كان اصطلاحاً جنسياً ، أما اللفظ السوقى فقد كان تعبيراً مرتبطاً بالافرازات » .

وقد قدم مايكل جارتنر ، المحرر فى جريدتى ريجستر وتريبيون تفسيراً منطقياً للطريقة التى سجلت بها جريدتاه الحدث ، وهو السبب نفسه الذى من أجله لا يَرِد الحدث كما نشر بالضبط فى هذا المكان :

لقد كان بوتز فى منتهى البذاءة . وعندما ظهرت الفراغات فيما قدمناه من مادة مطبوعة ، فنحن بذلك لم نترك للقارىء الفرصة لتخيُّل ما قاله بوتز أسوأ مما قيل فعلاً . وعلاوة على ذلك ، فقد كانت الفكرة أهم كثيراً من الكلمات . . والفقرة المختارة بمادتها لا تترك مجالاً للشك ، كما ذكر مقال « الواشنطن بوست » فى أن بوتز يعتقد أن الزنوج حيوانات .

ويبدو أن الدرس المستفاد من كل هذا هو أنه لو كان القول البذىء نوعاً قد صدر عن شخصية هامة ليؤكد على نقطة معينة ، فسوف نطبعه ، لأنه قد لا يُغضب الأغلبية ، وإننا قد لا نخدم المتحدث لو لمحنا بأنه كان فجًا بصورة أكثر مما حدث فى الواقع .

ولكن إذا كانت الشخصية الهامة بذيئة بشكل حاد فى أسلوب توضيح النقطة الهامة ، فلن نقوم بطبع ما قيل . . لأنه سوف يثير غضباً ، ولأن حذف بعض العبارات لتهذيب ما قيل لن يؤدى إلى استنتاجات غير منصفة [8] .

والحوار الدائر حول نشر البذاءات دائم ومستمر . . يتغير البشر ، وتتغير الظروف ، ولكن يبقى السؤال كما هو : متى تتم تنقية اللغة المستخدمة ؟

عندما تبقى البذاءات فى القصة الاخبارية ، فإن ذلك يحدث لأنها تعتبر وثيقة الصلة بالموضوع . ولنذكر على سبيل المثال قصة أقل شهرة من تلك المتعلقة ببوتز ــ مثل ما حدث مع أنتونيو ج . فيليستا الذى تم تعيينه فى لجنة حقوق الإنسان « مينيابوليس » ١٩٦٩ بواسطة العمدة تشارلز ستنفج .

وقد ظهرت القصة فى الصفحة الأولى لجريدة « مينيابوليس تريبيون » ، عندما قُدمت شخصية فيليستا للجمهور تحت عنوان « مسئول رسمى يصرِّح بما يجول بخاطره » [9] . . وكانت الفقرة الافتتاحية كما يلى : أنتونيو ج . فيليستا لا « يفرم » الكلمات . . إنه « يهرسها » تماماً . وفى الفقرتين الرابعة والخامسة .أ المراسل فى تعريف القارىء بفلسفة « فيليستا » ومفهومه لدوره فى لجنة لاقات الإنسانية :

« لن أتقبل أى نوع من التبجُّح أو الضغط » . قال هذا مشيراً إلى التهديدات التى قال إنها صدرت عن بعض الزنوج والهنود فى أثناء اجتماعات لجنة العلاقات الإنسانية وغيرها .

ثم أضاف قائلاً : فإن وُجدت أية شكاوى أو مظالم ، فمن المؤكد أنها سوف تحظى بكل الاهتمام والعناية . ولكننى أيضاً من المؤكد لن أعطيهم نصف ما أتقاضى من أجر ـ بينما أقوم أنا بكل العمل وهم يجلسون على « مقاعدهم » . . (اللفظ المستخدم لفظ سوقى) !

وبعد وصف فيليستا واشتراكه فى بعض الأنشطة المدنية مثل جمع التبرعات للهوايات والحرف الرياضية ، وكذلك للجمعية الأمريكية لعلاج السرطان ، اختتمت القصة الاخبارية المكونة من ثلاثين فقرة بالفقرتين الآتيتين :

ولكن فيليستا أكد على أنه ليس ضد الأقليات ، ولكنه ضد حوالى الثلاثين شخصاً الذين يثيرون المشاكل . . وأن ٩٨ ٪ من الملوَّنين فى تلك المدينة هم قوم طيبون . . (مستخدماً ألفاظاً نابية) :

«فأنا أتحدث كثيراً مع الملوَّنين ، أتحدث مع عمال المصاعد ، ومع منظفى الأحذية . . أما أتحدث مع مسئولى مواقف السيارات . . فهل تعلمون مادا يقولون ؟ إن كل ما يحدث من اشتباكات ومغامرات لا يهمهم إطلاقاً » .

وكانت ردود أفعال تلك القصة سريعة ومتعددة ، فى صورة مكالمات تليفونية وخطابات إلى المحررين يتساءل فيها القراء عن الدور الذى يمكن أن يقوم به رجل له مثل ما لفيليستا من نظريات وتصرفات فى لجنة العلاقات الإنسانية . . وماذا تفعل جريدة مثل « تريبيون » يقرأها كل أفراد الأسرة ، بنشرها مثل هذا المستوى من اللغة ؟ وكان اهتمام الأغلبية منصب على النقطة الأخيرة أكثر من اهتمامهم بمكانه ودور « فيليستا » فى لجنة العلاقات الإنسانية .

ومن وجهة نظر الجريدة ، فيمكنها الاشارة إلى أن استخدام أعضاء لجنة العلاقات الإنسانية لمثل هذا المستوى من اللغة شيء يستحق النشر ، وأن تلك القصة قد أعطت صورة واضحة لفيليستا ، ونشاطات مجتمعه التى تستحق الثناء . وقد أشارت إحدى مقالات رئيس تحرير « التريبيون » أيضاً إلى أن رؤية فيليستا من المحتمل أن تتطابق مع رؤية العديد من سكان مينيابوليس وأن خدماته فى اللجنة قد تكوّن خبرة مفيدة له .

أما نقّاد الجريدة ، فقد يثيرون جدلاً بأن سياسة رئيس تحرير جريدة « التريبيون » تعارض سياسة ستنفج وأن موظفيه يعانون نتيجة لذلك التعارض . . . كما أن الجريدة قد تقوم « بتنقية » أقوال الشخصيات الرسمية التى تساندها وحذف ما تتفوه به من ألفاظ بذيئة ، فى حين أنها تحاول إدانة موظفى ستنفج .

وفى مذكرة مقدمة من العاملين فى « التريبيون » فى أعقاب الجدل السابق ذكره ، روجع الموضوع ، وفيما يلى العديد من نقاط المذكرة المقدمة والذى ظهر أنها تستحق تسجيلٌ ملخص لها :

نحن لا نستطيع إرساء قواعد لسياسة شديدة الثبات ، كما أننا لا نستطيع الاجابة على كل الأسئلة ، ولا أن نحل كل المشاكل . . . ولكننا نستطيع ــ ويجب علينا ــ أن نعتمد على نضج العاملين وحسن تقييمهم للأمور ومقدرتهم على فهم المشاكل وعلى اتخاذ قرارات مدروسة بدقة . . .

. . . . يجب مراعاة مصدر المقولة والظروف التى قيلت فيها . فإذا كان استخدام لفظ سوقى أو قذر ضرورياً لنقل المعنى بدقة ، ونقل وقع تعليق معين على حدث هام ، ننشره .

فاسأل نفسك . . هل المتحدث شخص مسئول . . والموضوع هام ؟ هل ستفقد المقولة مذاقها الخاص ووقعها الحقيقى إذا تمت

تنقيتها ؟ إذا كانت الاجابة عن السؤالين بالإيجاب ، تنشر المقولة كما قيلت بالضبط .

[ولكن]

إننا نرغب فى تغطية الأحداث بموضوعية وبلا إفراط فى الحساسية لأقل شىء مناف للأخلاق . . وعلينا أن نتذكر أننا وسيلة إعلام لها جمهور محافظ ، وأن مسئوليتنا كاملة عن إمداد جمهورنا بالمعلومات .

ونحن لا نمد جمهورنا بالمعلومات إذا أغضبناه ، فإذا أغضبناه ، نعمل على إبعاده مهما كانت أهمية القصة الاخبارية . والقارىء فى ظروفه العادية متحفز للثورة علينا لأتفه الأسباب . . ونحن لدينا من المسئوليات الهامة ما لا يسمح لنا إطلاقاً بالعمل على إبعاد القراء عنا .

لقد أصبحت القذارة وانتهاك الحرمات من حقائق الحياة فى هذه الأيام . . ويجب علينا ألا ندّعى أننا قد اكتشفناها للتو واللحظة . فمن الممكن لأية قصة جيدة أن تكتب متجنبة مثل هذه اللغة ، ولا تفقد مغزاها ، بل تبقى محتفظة بجودتها . . ولكن هناك دائماً استثناءات نادرة . . .

[وفكرة ختامية]

وهناك اختبار مفيد . . وهو دراسة الدوافع . فإذا كان لدينا سبب مقنع لما نفعل ، يتفق مع مسئولياتنا ، فيجب ألا نخجل منه وألا نخاف من النقد . . ولنناقش مثل هذه الحالات كلما وردت فى سياق الموضوع [10]

ولنفرض أنه فى حالة ما سمح مصدر للأخبار بإجراء الحديث الصحفى ، وأدلى ببعض المعلومات الخاصة والمتعلقة بشخصه . . ثم ـ وقبل أن تنشر القصة ـ تراجع عن موافقته السابقة ، وطلب ألا يتم نشر ما أدلى به من معلومات طائعاً مختاراً . . فماذا يفعل المراسل فى هذه الحالة ؟

أحد الحلول المقترحة فى مثل هذا الموقف هو أن يلجأ المراسل إلى محامى

المؤسسة لطلب المشورة . وهذا هو ما حدث عندما تعرض مراسل « سبورتس ايلستريتد » لموقف مشابه ، فأشار المحامى بنشر القصة . . وحينئذ أقام مصدر الأخبــار دعـوى على الجـريدة مطالبـاً بتعـويض قدره سـتة ملايين دولار ، لاقتحامها حياته الخاصة .

وفى ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية ، اعتقد قاضى المقاطعة جوردون تومبسون فى بادىء الأمر أن جانب الادعاء يستحق انعقاد جلسة لسماع مختلف الشهادات . وفى أواخر ديسمبر سنة ١٩٧٦ تراجع عن موقفه السـابق ، لأنه اعتبر الأحداث التى بُلِّغت عن مصدر الأخبار صـالحة للنشر ، وأنها ليست نوعـاً من التجسس على حياة مايك فيرجيل [11] الخاصة . وكانت القصـة التى نشـرت فى فبراير سنة ١٩٧١ هى بعنوان « أقرب شىء إلى مولد الإنسـان » ، وكـانت تتعلق بالسبـاحـة وسـط الأمواج المتكسرة بالقرب من سـاحل نيوبورت فى كاليفورنيا . وكان فيرجيل ـ أحد السباحين ـ قد قـال بمحض إرادته للمؤلف كيرى كيركباتريك بعض المعلومات التى أدت إلى أن كتب كيركبـاتريك عن فيرجيل قـائلاً : إنه يعتبر إنسان غير سـوى . . فهو يستطيع أن يطفىء السيجارة فى فمــه . . ويحرق ورقة من فئة الدولار على ظهر كفه ، كما يقفز بتهور شـديد من أعلى سـلَّم متعـدد الدرجات لمجرد أن يحدث انطباعاً قوياً على بعض الفتيـات . وكان المقياس الذى أخذه القاضى تومبسون فى الاعتبار عند حكمه على مدى صلاحية الموضوع للنشر يتلخص فى النقاط التالية :

عنــد تحديد ماهية المـادة التى تهم الجمهـور ، والتى من حقـه أن يعـرفهـا ، يجب مراعـاة العـادات والتقـاليد التى تسود مجتمعه . . وما يعتبر مقبولاً بعد التحليل النهائى ، يصبح عرفاً فى المجتمع . . ويعتبر الموضوع منتهياً عندما تتحول دور النشر من إعطاء المعلومات

التى من حق القارىء أن يعرفها ، إلى مجرد حالة مرضية ومثيرة من التطفل على حياة البشر الخاصة والتى يقول عنها الجمهور المتعقل ذو القيم الراقية إنها لا تهمه »[12] .

وأضاف القاضى قائلاً : « إن هذا الاختبار لتقييم المادة الصالحة للنشر يتجنب التحديد الذى لا لزوم له للمسافة المطلوبة للصحافة ، لكى تستطيع أن تمارس عملها وتصدر أحكاماً صائبة على المادة التى تنشرها » .

وفى حالات أخرى ، قد لا تكون اللغة التى يستخدمها مصدر الأخبار هى الموضوع ، ولا كونه قد أدلى بمعلومات يطلب فيها بعد عدم نشرها . ولكن هناك تزايد فى الحالات التى يوافق فيها المصدر على أن تنقل عنه مقولة ما ، ولكنه يطلب عدم ذكر اسمه . وهذا يؤدى إلى أن نبحث فى موضوع متى يجب حماية مصدر الأخبار ، لصالح الجمهور .

مساعدة جمهور الأخبار

لقد ناقشنا فيما سبق موضوع الاتجاه نحو التعامل بصورة أكثر جدية مع الدور الذى يقوم به المراسل الصحفى . . ومدى الجدية هذا يحدده مدى الاستعداد الذى يبديه كثير من المراسلين لأن يُسجنون ، ولا يدلون بأسماء مصادر الأخبار ، أو بمعلومات علموا بها بصورة خاصة وسرية فى أثناء أية إجراءات قانونية . . وكذلك مدى استعداد المؤسسات الصحفية لإنفاق آلاف الدولارات فى المعارك التى تشهدها ساحات القضاء . وجزء كبير من تاريخ الصحافة الأمريكية المعاصرة تم تسجيله فى ساحات القضاء ، حيث كان القضاة والنائب العام والمحامون يندارسون معاً إلى أى مدى منحت قوانين الولاية لحماية الصحفيين وتعديلها الأول ــ للمراسل الصحفى حق الحماية فى حالة عدم إفصاحه عن المعلومات التى يطلبها منه المحلفون ورجال

الشرطـة ، والـوكـالات القـانـونية الأخـرى ، وتلك التى تمـارس تطبيق القانون .

فالقضية ليست جديدة على هذا القرن ، إذ أن بنجامين فرانكلين ذكر فى سيرته الذاتية أنه قد استدعى إلى ساحة القضاء للادلاء بشهادته عن قصة كتبها شقيقه جيمس فى جريدة « نيو إنجلاند كوارنت New England Courant ، ولم يرغب بنجـامين فى الحديث ، ولم يضغط عليه أحد فى تلك القضية [13] . ولكن السمـة المميزة لهذا القـرن هى عدد الأوامـر القضـائية التى صـدرت باستـدعـاء مراسلين صحفيين للمثول أمام القضاء ، وعدد قوانين الحمـاية التى أصـدرتهـا الجهـات التشريعية فى الولاية ، وتأثير أحكام القضـاء التى صـدرت على العـلاقة بين المراسـل الصحفى ومصـادر الأخبار التى يتعامـل معها .

ونقـطة الخـلاف تبـدو بسيطة إلى حد ما ، وفى الـوقت نفسه عميقة : فأسلوب الحكومة فى الولايات المتحدة الأمريكية يتطلب جمهور ناخبين واعياً وقادراً على ممارسة الحكم الذاتى . . وهذا هو أحد الأهداف التى يعمل على تحقيقها التعديل الأول ، إذ أنه فى أثناء عملية إمداد المواطنين بالمعلومات ، يجب على المـراسـل الصحفى فى بعض الأحيان أن يمنح الضمانات الكافية لمصدر الأخبار بأنه لن يكشف عن شخصيته ، أو أن بعض المعلومات التى تم كشفها فى أثناء عملية جمع الأخبار لن تُفشى . . وقد شرحها البروفسور دافيد جوردون كما يلى :

إن الموضوع الذى نحن بصدده هو حق للجمهور (أكثر مما هو امتيازاً له) ، وهو الحق الذى يمارس عن طريق وسيلة الإعلام الاخبارية ، فى أن يكـون دائمـاً على علم بما يدور فى المجتمـع . وحماية مصدر الأخبار الموثوق به ، والحفاظ على المعلومات السرية ، كلاهما يرتبط

ارتباطاً مباشراً بمصداقية رجل الأخبار فى نظر المصادر التى يستمد منها معلوماته . . وهذا يؤثر فى كفاءة ذلك المراسل ـ وغيره ممن يواجهون مطالب مشابهة من مصادرهم ـ وفى مقدرته على مواصلة إمداد جمهوره بالمعلومات .

وفيما يتعلق بالموضوعات التى تثير جدلاً ، فمن المحتمل أن يتعرض عمل المراسل الصحفى لاحتلال فى التوارن ، فى حالة ما إذا كان أحد الجانبين لا يثق بالوسيلة الإعلامية ثقة تدعوه إلى الإدلاء بالمعلومات عن معتقداته وأنشطته وبدون تلك المعلومات وغيرها عن كل سمات المجتمع يصبح الناخبون أقل قدرة على ممارسة الحكم الذاتى بأسلوب منطقى معقول وهذا هو السب الأساسى لكل امتياز يمنح لرجل الأخبار [14] .

وعموماً فقد استخدم المراسلون الصحفيون ثلاثة وسائل للدفاع عن حقهم فى حماية اسم مصدر الأخبار وسرِّية المعلومات ، وهى : (١) تبدأ مناقشاتهم بأن التعديل الأول بضمانه حرية الصحافة ، قد حمى أيضاً أسلوب جمع الأخبار ، وأن أى تدخل من السلطات القانونية لإكراه المراسل على الإدلاء باسم مصدر الأخبار أو البوح بمعلومات ، يعتبر انتهاكاً لحرية الصحافة . (٢) قوانين الحماية التى تطبق الآن فى نصف الولايات تقريباً تمنح الحماية للمراسل والمصدر معاً . (٣) استعداد المراسلين الصحفيين لدخول السجن ، وتفضيله عن البوح بأسماء المصادر التى يتعاملون معها ـ وهو لو شئت لسميته نوع من العصيان المدنى ـ هو أيضاً بديل .

وأحياناً يحتاج المصدر إلى نوع من الضمان يؤكد استعداد المراسل لدخول السجن ، أو أن القانون سوف يحمى كل من المصدر وسرِّية المعلومات . ومن السهل تصوير ما يمكن أن تعانيه بعض مصادر الأخبار عندما تبوح ببعض المعلومات .

وفيما يلى ما يمكن أن يسمى بموضوع ثانوى ، نقلاً عن قصة نشرت فى جريدة « هيرالد » بداكوتا الشمالية يوم الأربعاء ٢٦ فبراير سنة ١٩٧٥ .

أمدَّ موظف ممن يعملون بعض الوقت فى مجلس المدينة جريدة « هيرالـد » بمعلومـات تتعلق بقصة عن الأمن فى المطار . وفُصل الموظف فى اليوم التالى لظهور تلك القصة .

ثم فُصل أيضاً هال آدمر الذى كان يعمل محاسباً فى مكتب مدير المـطار نورمـان ميدبـو يوم السبت التـالى بعـد أن نشرت جريدة « الهيرالد » قصة مقتطفة من خطاب كان قد أرسله آدمز إلى ميدبو فى شهر نوفمبر السابق ، منبهاً موظفى المطار بضرورة تطبيق قواعد الأمن الفيدرالية .

وكل من آدمز وميدبو لم يقم بتوزيع هذا الخطاب . وبعد شهر من تلك الأحـداث ، ادعى تشارلز دونالد ستيوارت أنه حاول اختطاف طائرة بعد أن تمكن من الدخول من خلال بوابة للبضائع كان المفروض أنها محكمة الإغلاق .

وفى يوم الثـلاثاء التالى ، وافق المسئولون على دفع غرامة مبدئية للحكومة قدرها ألف دولار لتركهم تلك البوابة مفتوحة .

وقال آدمز أن المسئولين فى المدينة قد أخبروه إن سبب فصله من عمله هو أنه قد « تخطى حدوده » بكتابته الخطاب المذكور ، وأنه متهم بإجراء حوار مع جريدة « هيرالد » .

وكان قد تم فصل آدمز بدون إنذار .

وقد أدلى ميدبو بتصريح لجريدة « الهيرالد » جاء فيه أنه « لم يكن راضياً تماماً عن عمل آدمز ، وأضاف « إن فصله من العمل لا علاقة له بالمقال المنشور فى الجريدة » .

ثم أضاف سائلاً : « ولماذا اخبركم بأى شىء ؟ فليس علّى أن أفسر لكم سببَ فصل أحد الموظفين » .

وقال آدمز إنه تحدث إلى جريدة « الهيرالد » لأنه « شعر بالترام أدبى أمام نفسه ، وأمام المدينة » .

ومثـل آخـر أكثر شهرة ، هو ما حدث سنة ١٩٦٩ عندما فصل سلاح الطيران الأمريكى أ. إرنست فيتزجيرالد بعد سنة كاملة من شهادة فيتزجيرالد عن التجـاوزات التى حدثت فى تكـاليف إنتاج الطائرة النفاثة (جالاكسى س ــ ٥ أ C-5A Galaxy) . وكان فيتزجيرالد ــ الذى يشغل منصب نائب مدير أسـاليب الإدارة بسـلاح الـطيران ــ قد أخـبر إحـدى اللجان الفرعية بمجلس الشيوخ الأمـريكى ــ والتى يرأسهـا سنـاتـور ويليام بروكسمير أن التجاوزات فى تكاليف إنتاج تلك الطائرة العملاقة سوف تتفاوت بين بليون و ٢ بليون دولار .

وقضية فيتـزجـيرالـد ومعـركتـه لاسـترداد وظيفته قد نوقشت بشىء من التفصيل فى كتاب كلارك مولنهوف « خطة اللعبة التى أدت إلى كارثة » . وقد بدت المحـاولات ــ التى قام بها سلاح الـطيران لإنكـار أن سبب فصـل فيتزجيرالد كان هو شهادته أمام اللجنة الفرعية ــ كلها غير مقنعة :

لقد أثارت صراحة فيتزجيرالد استياء سلاح الطيران ، مما أدى إلى طعنة فى دقة الأرقام التى ذكرها . . ثم سلَّم بأن الاستعدادات التى سبقت التعـاقـد لم ترتفـع إلى مستـوى الـدعـاية التى ارتبـطت بها بدايتـه . . ثم اعـترف ــ على مضض ــ بأن هناك اتفاقات جديدة يجرى إعدادها تضمن أرباحاً مادية للوكهيد Lockheed لا يستهان بها (بخصوص الطائرة س ــ ٥ أ (C-5A) [15]

وتولت حكومة نيكسون السلطة بعد أن أدلى فيتزجيرالد بشهادته ، ولكنها

لم تقم بحمايته . وعندما بدأت التحقيقات الأولية لووترجيت فى صيف عام ١٩٧٣ ، ظهرت مذكرة يناير سنة ١٩٧٠ المتعلقة بقضية فيتزجيرالد وكانت موجهة إلى هـ. ر. هالدمان ، ويعتبر الساعد الأيمن للرئيس نيكسون ـــ ومقدمة من ألكسندر بترفيلد أحد معاونى البيت الأبيض :

> مما لا شك فيه أن فيتزجيرالد خبير تكاليف من الدرجة الأولى ، أما فيما يتعلق بالاخلاص والوفاء ، فيجب أن يحصل على أدنى الدرجات . . وعلى كل الأحوال فإن الإخلاص والوفاء هما عنوان اللعبة .
>
> والإنسان غير السوى فقط هو الذى ينقل شكواه من عمله الرسمى بعيداً كل هذا البعد عن قنواتها الطبيعية ؛ ويجب علينا أن نترك جرحه يدمى لفترة ما على الأقل . . . فأى إسراع فى العودة به إلى وظيفته يعتبر معادلاً تماماً لاعترافنا بأن هناك خطأ ما قد ارتكبناه تجاهه فى فترة سابقة [16] .

وإحدى سخريات ووترجيت ، أن بترفيلد قد وجد نفسه فى وضع يبدو لبعض الناس مشابها لوضع فيتزجيرالد . . فقد كان هو ، بترفيلد ـــ الذى أخذ فى إجابته على أحد الأسئلة ـــ أعضاء لجنة ووترجيت فى يوليو سنة ١٩٧٣ أن الرئيس نيكسون لديه نظام تسجيل سرى فى البيت الأبيض « لأغراض تاريخية » . وكان بترفيلد أحد العاملين مع الجهاز السرى فى تثبيت أجهزة هذا النظام .

وكان فى بداية عام ١٩٧٣ قد عينه الرئيس نيكسون مديراً لإدارة الطيران الفيدرالى . وعندما طلب منه الرئيس جيرالد فورد أن يقدم استقالته سنة ١٩٧٥ ، اعتقد بترفيلد أنه عقاب متأخر لبوحه بموضوع وجود الأشرطة المسجلة .

وقد عادت المذكرة التى قدمها بترفيلد عن فيتزجيرالد تلازم كاتبها ملازمة الشبح ، وخاصة الكلمات : «دع جرحه يدمى » ، وذلك عندما بدأ مجلس الشيوخ النظر متردداً فى إعادته إلى رتبة « كولونيل » ، وهى الرتبة التى كان يشغلها قبل أن يقدم استقالته من العمل العسكرى ليتولى رئاسة وكالة الطيران الاتحادية . . ولم يعد له اللقب . وقد نوقش الموضوع فى مجلس الشيوخ ، وكان من رأى بعض الأعضاء أن التفرقة بين السلطات العسكرية والمدنية يجب ألا تسمح للضباط بالاستقالة من وظائفهم ليعملوا كمدنيين ، ثم يعودوا لوظائفهم السابقة وألقابهم العسكرية عند تركهم للعمل المدنى . وبإغلاق الطريق أمامه للعودة إلى الحياة العسكرية وجد بترفيلد أن العودة إلى عمله المدنى أمر صعب ، فالأبواب التى كان من الطبيعى أن تفتح أمام مساعد سابق لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية أغلقت ، وقد يكون سبب إغلاقها هو إنشاؤه لموضوع أشرطة نيكسون المسجلة .

ولم يطلب كل من فيتزجيرالد و آدمز وبترفيلد إغفال ذكر أسمائهم ، ولكن قضاياهم ــ خاصة تلك التى تخص آدمز وفيتزجيرالد توحى بالأسباب التى من أجلها يطلب آخرون ذلك .

ومـوظفو الدولة فى المعتاد هم غالباً مصادر معلومات عن أخطاء وذنوب وعمليات إفساد يقوم بها شاغلو المناصب العليا فى الدولة . ونظراً لسهولة سقوط الموظف عرضة للإغراءات وما يتعرض له من تهديدات فى أمنه الوظيفى واحتمالات ترقيته عند إبلاغه عن خطأ ما ــ فهذا يوضح أسباب طلبهم عدم ذكر أسمائهم عندما يتحدثون إلى مراسلى الصحافة . وإذا لم يستطع المراسل أن يضمن عدم ذكر الأسماء ، فاحتمال أن يحصل على المعلومات من الموظف يتضاءل ، وبذلك يستمر الفساد ، غير مُعلن ، وبالتالى غير قابل للتوقف .
وقد عبَّر عن ذلك السناتور لويل ويكر ممثل ولاية كونيكتكت ، عندما تحدث مطالباً (ولكن لم ينجح) بإصدار قانون حماية فيدرالى ، فقال :

وقد أضيف أن أحد بنود مشروع القانون ، أنه يحمى مصادر الأخبار من الكشف عن شخصياتها فى الحالات التى « تتضمن سوء استخدام موظفى الدولة لسلطاتهم » . . لماذا ؟ الإجابة سهلة . . باستثناء حالات قليلة جداً ، فإن الأبحاث ادلّت على أن كل الفضائح الكبرى التى حدثت خلال العشرين عاماً الماضية تم كشفها بواسطة الصحافة . ويبدو أنه ـ أحياناً ـ علينا أن نبحث عن المساعدة بعيداً عن حكومتنا فى محاولاتنا للكشف عن أخطاء الحكومة . . فلو لم نقم بحماية مصادر تلك الأخبار ، فمن المحتمل ألا نعرف شيئاً عن تلك الأخطاء مرة أخرى . وهذا موضوع له من الأهمية ما يجعلنا نعمل دائماً على تشجيعه [17] .

ومن الموضوعات التى تثير الجدل كذلك أنه لو لم يُمنح المراسل حق الاحتفاظ بسرية بعض أسماء مصادر الأخبار ، وبعض المعلومات التى يحصل عليها ، فلن تصل إلى الجمهور العديد من وجهات النظر المختلفة والمخالفة وبذلك يحرم من حق من حقوقه الشرعية . فالصحافة تُشكل منبراً لمن تحول آراؤهم ونشاطاتهم السياسية دون شغلهم للوظائف العامة أو الوصول إلى المنابر العامة الأخرى مثل اللجان المعينة والمؤسسات المدنية . والمنطق الأساسى هنا هو أن فى نظامنا الحكومى ، من المهم أن تعرف جميع قطاعات المجتمع ما يفكر فيه الآخرون ، ومن المحتمل أن تصل الصورة غير كاملة لجزء كبير من هذا المجتمع لو لم يعط حق الوصول إلى آراء الأقليات والفئات المنشقة . . وحرمان مثل هذه القطاعات من الوصول إلى الصحافة قد يثير العنف .

وقد أثيرت هذه النقطة سنة ١٨٠٠ بواسطة محام من نيويورك يدعى تونس وورتمان وناقشها ليونارد ليفى فى كتابه « حرية القول وحرية الصحافة فى تاريخ أمريكا القديم : ميراث القمع » :

إن الرجال الذين تتكون جريمتهم الوحيدة من السذاجة ، والحماس ، والتحيز ، والأفكار الخاطئة ، و« البلاهة فى فهم الأمور » . . هؤلاء هم الذين تقام ضدهم الدعاوى ويدانون وينتج عن ذلك أن يدمّر الرأى الحر ، ويزحف على المجتمع صمت مميت . . حقاً . . إن إدانة السخط وعدم الرضا ، وإزالة إمكانية التعبير عنه بالكلمات ، واستمرارية ذلك الوضع يجعل اللجوء إلى العنف أمر محتمل [18]

وعموماً فإن مسألة قانون الحماية ــ مثلها مثل الكثير الذى يغلف التعديل الأول لحماية الصحافة ــ ليست بالوضوح الذى قد يقنعك به النقاش السابق . فليس هناك ولا مجرد اقتراب من الاجماع بين مراسلى الصحف على المسائل المذكورة فيما يتعلق بمدى ضرورة أن يكون لهم قانون يحميهم . فالمعارضون للقانون يشيرون إلى أن الصحفيين قد عارضوا باستمرار منح امتيازات خاصة لأى شريحة من المجتمع ، وبذلك يصبح قانون الحماية متناقضاً مع مطالبهم التقليدية . وقد أشاروا كذلك إلى أن بعض مراسلى الصحف الذين بلا مبادىء ولا يشعرون بمسئوليتهم قد يُسيئون استخدام ذلك القانون بنشرهم اتهامات لا أساس لها من الصحة ، ثم يدّعون أن لهم حق حماية مصادرهم ــ التى قد يتضح أنها لا وجود لها .

وكثير من العاملين بالصحافة لا يبتهجون عندما يصدر فى ولايتهم قانون يحميهم [19] ، ويشرحون وجهة نظرهم بأنه إن كان من حق الولاية سن قانون حماية ، فإنه من حقها أيضاً إلغاؤه ــ وفى هذه الحالة يصبح الصحفى فى وضع أسوأ كثيراً من الوضع الذى كان فيه قبل صدور ذلك القانون . ويثير المعارضون نقطة أخرى وهى أن أى شىء دون قانون حماية كامل وغير مقيد ، ولا يحمى المراسل إلا فى الحالات التى ينص عليها ، ويتركهم بلا حماية فى كل ما عدا ذلك . . ولذلك يقترحون أن استعداد المراسل لدخول السجن المذكور

فى التعديل الأول ، وما يتضمنه من ثقة كبيرة متبادلة بين المراسل ومصدر الأخبار ــ هو ضمان كاف ــ إن لم يكن أفضل ضمان ــ لعدم البوح بشخصية المصدر والاحتفاظ بسرية المعلومات .

وقضية فريزنو تعبرعن ضعف قانون الحماية الذى صدر فى تلك الولاية . أما قانون الحماية الخاص بولاية كاليفورنيا ، فهوينص على أن مراسلى الصحف « لا يمكن أن يدانوا بواسطة القضاء ، أو الهيئة التشريعية ، أو أى هيكل إدارى ، لأنهم رفضوا الإدلاء بمعلومات عن مصدر أية أخبار حصلوا عليها لنشرها ونشروها فى جريدة ما » .

وهذا يبدو واضحاً ، وبرغم ذلك ، فقد قضى كل من جورج جرونر مدير تحرير جريدة فريزنو بى ، وجيمس بورت المراسل الخاص بالمدينة وقت الهجوم والمراسلين جو روساتو وبيل باترسون ، قضوا أسبوعين فى السجن سنة ١٩٧٦ ، وذلك لرفضهم أن يبوحوا للقاضى بمصدر المعلومات التى حصلوا عليها عن شهادة هيئة المحلفين الكبرى المتعلقة باتهام أحد موظفى المدينة بالرشوة . وقد اعترف الأربعة بأن المعلومات وصلت إلى الجريدة بواسطة شخص غير مُلزَم بالخضوع للأمر الصادر من القاضى دنيفر بيكينبا بألا يُناقش تلك القضية مع الصحافة . ومع ذلك ، وبعد معركة طويلة أمام القضاء ، قضى الأربعة بعض الوقت فى السجن ، لأن القاضى بيكينبا قال إن الهيئة التشريعية لم تستطع أن ترشده إلى الطريقه التى تدار بها قاعة المحكمة ، وقد رفضت المحكمة العليا للولاية الاستماع إلى الاستئناف .

ونظرا لأن وضع قوانين الحماية وتشريعاتها ، وتفسير القضاء للتعديل الأول سوف تتغير بمرور الوقت ، فما هى الأشياء الثابتة نسبياً التى يستطيع المراسل الصحفى أن يسترشد بها لخدمة جمهوره ، مع احترام رغبة المصادر التى يستمد منها الأخبار فى عدم الافصاح عن أسمائها ؟

(١) الضمانات والتعهدات التى يعطيها المراسل لمصدر الأخبار يجب أن تدرس جيداً ، فبعض المؤسسات الاخبارية تطالب المراسل بأن يخبر رئيس التحرير أو مدير التحرير بأمر تلك التعهدات ليضمنوا أن الجريدة أو وسيلة الإعلام ــ على استعداد أن تساند مراسلها وكل من له علاقة بالقصة الاخبارية فى كل ما قد يترتب عليها من إجراءات قانونية .

(٢) إن أداء المواطن لواجب الشهادة أمام القضاء أمر له جذوره العميقة فى جهازنا الحكومى ، تماماً كحق المتهم فى مواجهة من يوجهون ضده الاتهامات ؛ وليس هناك أدنى احتمال أن تتخلى ساحات القضاء أو أية هيئة محلفين عن تلك الواجبات والحقوق لمجرد تلبية بعض الطلبات التى يتقدم بها المراسلون للاحتفاظ بسرية المعلومات التى لديهم عن مصادر الأخبار .

(٣) لكى تتوافر الوسائل التى تسمح لجميع قطاعات المجتمع بالا
من مجال الأخبار ، ويتم اطلاعهم على ما يحدث فى مجتمعهم بكفاءة يجب
مراسلى الصحف ــ من آن إلى آخر ــ أن يضمنوا لمصادرهم إمكانية الاحتفاظ بأسمائهم فى سرية كاملة ، وكذلك الاحتفاظ بسرية بعض المعلومات . وعند إعطاء مثل هذه الضمانات والتعهدات يجب على المراسل ، والإدارة التى يتبعها أن يتحملا النتائج .

(٤) ليس من الضرورى أن تدرس جميع الحالات التى يطلب فيها عدم ذكر الأسماء بدقة شديدة ومن الزاوية القانونية . فالقراءات اليومية فى الصحف توحى لأى إنسان بأن المراسل الصحفى الذى يغطى عدداً كبيراً من الأحداث يمنح حق عدم ذكر الاسم للعديد من المصادر التى يتعامل معها ــ من أحداث تجرى فى ملاعب الكرة إلى ما يدور من حوارات فى حجرات مجلس الشيوخ . . وفى الكثير من هذه الحالات يكون المقياس هو إذا كانت المعلومات مهمة للجمهور ، أو كان طلب عدم ذكر الاسم له أسباب معقولة أو إذا كانت

المعلومات نفسها يمكن الحصول عليها من مصدر آخر لا يطلب عدم ذكر اسمه .

تعزيز مركز مصادر الأخبار

منذ خمسة وعشرين عاماً قدم عالما الاجتماع بول لازارسفيلد وروبرت مرتون للمرة الأولى للجمهور مفهوم أو فكرة « حالة المنح » وذلك فى حوار حول تأثير مجال الإعلام ، إشارة إلى ما يلى :

> تمنح وسيلة الإعلام مرتبة معينة لبعض الأشخاص . . ثم يزداد تعزيز تلك المرتبة لمن تمنحهم وسيلة الإعلام مزيداً من الاهتمام ، ومزيداً مں الهيبة والاحترام فيزيد ذلك من سلطة الأفراد والجماعات ثم يتوج باعترافها بشرعية وضعهم . . واعتراف الصحافة . . . هو بمثابة شهادة علنية بمولد أحد مصادر الأخبار المبرزين [20] .

وكما علق جيمس ليمرت وغيره على هذا الموضوع فإن مفهوم « حالة المنح » هو أنها تصوير واضح لمهنة عالم الاستعراضات القديم ، أو الخط السياسى القائل : « لا يهمنى ما يقال عنى ، مادام اسمى يكتب بهجاء سليم » [21] .

وقد نوه كل من لازارسفيلد و مرتون بأن مسار الحوارات العامة التى تدور حول القضايا الاجتماعية ، وظهور قادة متحمسين لها ومتحدثين عنها ، قد يعتمد ــ فى الجزء الأكبر منه ــ على الشخصية التى تستمد منها وسيلة الإعلام أخبارها . ولا يقل أهمية عن ذلك ــ كما اعترفت الصحافة منذ سنوات قريبة ــ هو حقيقة أن طبيعة الحوار تتشكل بنوعية مصادر الأخبار التى لا تتعامل معها تلك الوسيلة الإعلامية .

فإذا فسَّرنا تعزيز مركز مصدر الأخبار بأنه يعنى العمل على صيانة سمعته ، وزيادة قوته ، ودعمه وضعه ، فقد يفيدنا أن تدرس بعض الطرق التى يستطيع بها أسلوب جمع الأخبار أن يقدم تلك الخدمات لمصادر الأخبار .

فالفكرة العامة « لحالة المنح » هذه تتضمن فى صلبها عملية دائرية تتم كما يلى : بما أن الصحف تنشر تصريحات مصدر للأخبار على بعض القضايا ، فهذا المصدر ينال مزيداً من الاهتمام ، ويصبح فى وضع مرموق . . . ولنفس هذه المزايا يسعى العديد من المراسلين الآخرين للحصول على تصريحات وتعليقات منه إذا ما ظهرت القضايا السابقة مرة أخرى .

وبما أن كفاءة المراسل الصحفى تتوقف أحياناً على اختياره لمصدر أخبار متميز ، فالمراسل قد يستفيد عندما تصبح تصريحات المصدر الذى يستمد منه الأخبار موضع اهتمام مراسلين آخرين ، وعندما يصبح المصدر نفسه موضع اهتمام كبير . وقد يحدث أن يقدم مراسل شاب قصة عن قضية ما بلا مقولة أو تصريح من مصدر مرموق للأخبار ، كانت قد نُشرت تصريحاته عن تلك القضية فى مرات سابقة . . وحينئذ يُطلب من المراسل الشاب أن يتصل تليفونياً بالمصدر السابق الموثوق به ، للحصول منه على تعليق على تلك القضية . . وتصبح على وشك أن تسمع صوت رئيس التحرير وهو يقول : (لا يمكن أن ننشر قصة عن ـــ بلا تعليق من « فلان » . . فقد كانت تصريحاته وتعليقاته فى كل ما نُشر عن ذلك الموضوع) .

ومكتبة صالة التحرير تعتبر من أهم المصادر التى يرجع إليها الصحفى ، إذ أنها غالباً ما تضم قصاصات محفوظة بحرص ودقَّة من أعداد سابقة للجريدة ، منظَّمة ومرتَّبة حسب الموضوعات ، كل بعنوانه . . والمراسل الذى يكلَّف بتغطية حدث معين أو مشكلة فى مدينة ما ، ما عليه إلا أن يرجع إلى تلك القصاصات الخاصة بالموضوع أو الحدَث ليعرف خلفيته كاملة ، ويتعرف على مصادر االأخبار الموثوق بها فى موضوع بحثه .

وكثيراً ما يتهم مجال الأخبار بتغطية أخبار متحيزة ــ من وجهة نظر الناقد ــ فينصف مقال ما فريق كرة القدم لمدرسة معينة ، أو مرشحاً سياسياً على غيره . . وصالات التحرير كثيراً ما تمتلىء بالإثارة لما يقوله القراء أو المشاهدون عن ظنونهم بوجود مؤامرات معقّدة لمساندة موضوع معين أو شخص بالذات .

وأحياناً يتلقى المراسل شكاوى من كل من الجانبين عن تحيزه فيما قدم من أخبار ، كل يشكو من مساندته للطرف الآخر .

وفى حديثنا عن إمداد مصادر الأخبار بالمعلومات ، وحمايتها ، وتعزيز مراكزها ، يجب أن ننوه على الأقل بأن التركيبة الحساسة التى يتسم بها عمل المراسل الصحفى ، وكفاءته فى القيام به قد تؤثر تأثيراً كبيراً وواضحاً ــ تأثيراً أكبر من أية مؤامرة جائرة خرقاء .

مطالعات مقترحة

For additional information on shield laws, the following are usful:

Francois, William E. *Mass Media Law and Regulation*. Columbus, Ohio: Grid, Inc., 1975.

Gora, Joel M. *The Rights of Reporters: The Basic ACLU Guide to a Reporter's Rights*. New York: Avon Books, 1974.

"Is the First Amendment in Jeopardy?" *Columbia Journalism Review*, Sept/Oct 1972, pp. 18-37, with a 12-page supplement on the opinion of the U.S. Supreme Court on the shield law cases of Earl Caldwell, *New York Times;* Paul Branzburg, *Louisville Courier-Journal;* and Paul Pappas, WTEV-TV, New Bedford, Mass.

"Newsmen's privilege Legislation," an analysis by the American Enterprise Institute for Public Policy Research, Washington, D.C.

Other recommended readings:

Bernstein, Carl, and Woodward, Bob. *All the president's Men*. New York: Simon and Schuster, 1975.

Krieghbaum, Hillier, *Pressures on the Press*. New York: Thomas Y. Crowell, 1972.

Levy, Leonard W. *Freedom of Speech and Press in Early American History: Legacy of Suppression.* New York: Harper & Row, 1963.

MacDougall, Curtis D. *The Press and Its Problems.* Dubuque, Iowa: William C. Brown Company, 1964.

Mollenhoff, Clark. *Game Plan for Disaster.* New York: W. W. Norton, 1976.

Wicker, Tom. *A Time to Die.* New York: Quadrangle, 1975.

٥

مصادر الأخبار التقليدية وغير التقليدية

تعريف المصادر التقليدية للأخبار مرتبط بالوسائل التى استُخدمت فى هذا المجال لجمع معظم المعلومات خلال هذا القرن ، فمعظم تلك الأخبار قد وصلت إلينا بإحدى الطرق الآتية : (١) من خلال محررين ومراسلين متخصصين وموجودين دائماً فى أماكن الأحداث ، أو مصادر رسمية للأخبار . (٢) من خلال العلاقات العامة ، أو وكالات الدعاية والإعلان والعاملين فيها . (٣) وجود مراسلى الصحافة فى وسط الأحداث ذات الأهمية الاخبارية الخاصة .

وفيما يلى بعض الأساليب الحديثة نوعاً التى استخدمت فى جمع الأخبار وانتشرت خلال السنوات القليلة الماضية : (١) استخدام أساليب الصحافة الدقيقة المتقنة . (٢) سن القوانين الخاصة بحرية التصرف فى المعلومات وحرية استخدامها . (٣) استخدام حق الاحتفاظ بسرية أسماء مصادر الأخبار .

(٤) استخدام أعضاء الأقليات كمصدر للأخبار ، وكذلك الجهات المعارضة والمنشقة . ولإبراز الاختلاف ، يطلق على المجموعة الأخيرة « المصادر غير التقليدية » . ومع تسليمنا بأن بعضها قد استخدم منذ فترة ليست قصيرة ، فإن استخداماتها خلال السنوات القليلة الماضية فى تزايد مستمر .

والفقرات والمناقشات التى ضمها هذا الكتاب عن الأحاديث الصحفية والمآزق التى يتعرض لها المراسل الصحفى ، وإمداده لمصادر الأخبار بالمعلومات ، وعمله على تعزيز مراكزها ، كلها وثيقة الصلة بكل من المصادر التقليدية ، وغير التقليدية للأخبار . فتغير مصدر المعلومات لا يترتب عليه تلقائياً أن يقل احتمال وصول المعلومات متحيزة أو ناقصة أو غير دقيقة . . فتغير مصدر المعلومات قد يؤثر فى نوعية الكلمات التى تعبر عن المشاكل . . ومن المفيد أن نستعرض مصادر الأخبار القديمة والمصادر الحديثة ، ونتأمل كيف يمكن أن يؤثر استخدام كل منها فيما يقدّم من أخبار .

إن عمل قائمة بالأماكن النمطية الدائمة التى تصدر عنها الأخبار هو عمل أشبه ما يكون بسرد أسماء جميع المؤسسات الاجتماعية والسياسية التى نحترمها ونبجّلها لدورها الفعّال فى مجتمعنا : دار القضاء ــ المحافظة ــ اللجان المدرسية ــ دور العبادة ــ أقسام الشرطة ــ المطافىء والنوادى الرياضية ، وغيرها الكثير .

إن أى قراءة سريعة وخاطفة لتلك القائمة توحى بأنه من المناسب ــ بل من الضرورى ــ أن يتم تنظيم جزء على الأقل من التغطية الاخبارية بأسلوب المراسل الصحفى المتخصص المتواجد بصفة مستمرة فى أماكن الأحداث . فمثل هذه المؤسسات تعتبر من المصادر الدائمة للأخبار لما لها من تأثير على حياتنا وللخدمات التى من المفترض أن تقدمها ؛ والأحداث اليومية التى تتعرض لها هذه الأماكن تعتبر أحداثاً تتناسب مع المعايير الحديثة مثل القرب

فى المكان والزمان ، والشهرة ، والتوقيت الملائم ، والأهمية ، والصراعات ، واهتمامات البشر .

والأخبار التى تصل إلى الجمهور من مصدر متخصص ودائم فى مكان معين هى فى المعتاد أخبار متشابكة ومرتبط بعضها ببعض ، فالحدث الذى وقع فى شهر مايو مثلاً مرتبط بصورة أو بأخرى بأحداث شهر ديسمبر ، وتعليقات يوم الثلاثاء ترتبط بمناقشات يوم الخميس . . وتبعاً لذلك فإنه من المفيد أن يغطى مراسل صحفى واحد موقعاً للأحداث لفترة طويلة . . وبهذا نرى أن نظام المراسل المتخصص يساعد على إمداد الجمهور بتغطية إخبارية وافية وفقاً للعلاقات السليمة للأحداث بالتصرفات السابقة لمصدر الأخبار ، واختياراته المستقبلية .

ونظام المراسل الصحفى الدائم فى مكان معين يمد الجمهور بأخبار دقيقة عن القضايا والأحداث التى قد تؤثر فى حياته ، سواء كانوا مشاهدين أو قراء ، من زيادة فى الضرائب ، إلى الخدمات العامة التى تمولها حصيلة هذه الضرائب . . وهذا النظام ينطبق كذلك على صالات التحرير ، حسب كفاءة ، واهتمامات وقدرات المراسلين .

وعيوب هذا النظام تنبعث من مصادر قوته : استمرار التغطية الاخبارية فى مكان ما بواسطة مراسل معين ، واعتياده مكان الأحداث ، والمصادر التى تعمل به ، وما يتبع ذلك من نمو الألفة بينهم ، وتعاطفه مع مشاكلهم ، مع شعوره بالمسئولية تجاه إنجاح برنامج مصدر الأخبار . . هذا الشعور الذى قد يصل إلى حد الخلط بينه وبين ولائه للمؤسسة الصحفية وللجمهور . ومن السهل تفهم مصدر هذا الشعور . . فهو نتيجة حتمية للاتصال المستمر والطويل المدى بين مصدر للأخبار ومراسل صحفى واحد . . ولكنه شعور قد يعطى للمراسل صورة من زاوية معينة من المحتمل أن تكون مشوهة .

وقد تحدث فى هذا الموضوع كل من هاريسون سالزبرى وجيمى برسلين فى برنامج سالزبرى التليفزيونى « ما وراء السطور » .

سالزبرى : أعتقد أن مراسلى الصحف عموماً « ينزعون إلى الطفو إلى مراتب أعلى من البشر فى هذه المدينة . . . هل تعتقد أن هذا صحيح ؟

برسلين : أعتقد أن هذا هو السبب فى أن شخصين فقط هما اللذان قاما بموضوع ووترجيت . . هما وودوارد وبرنشتين . وفيما عدا ذلك فالجميع يتناولون العشاء مع مصادر الأخبار [1] .

إن العلاقات بين المراسلين ومصادر الأخبار التى يلتقون بها يومياً تقريباً تختلف عن العلاقات بين المراسلين ومصادر الأخبار التى يلتقون بها مرة واحدة ، أو التى يتحدثون إليها عبر أسلاك التليفون مرة واحدة . فالمراسل فى الحالة الأولى ـ تبعاً لكل ما هو معروف عن السلوك الإنسانى ـ سوف يسعى إلى إيجاد علاقة وديّة على الأقل بينه وبين المصدر الذى يحصل منه على الأخبار بصفة مستمرة . . وبمرور الوقت قد ينتج عن مثل هذا التصرف تغطية إخبارية غير موضوعية ، تكاد تغفل كل ما يستحق النقد .

ففى بعض الأحيان ، بينما يتناول مجال الأخبار بحث قضية مثيرة للجدل والخلاف قد تضع مصدر أخبار معين فى مركز حرج ، يكلف بتغطية هذا الحدث مراسل آخر غير المراسل المتخصص بتغطية أخبار ذلك المصدر عادة . . وحجة ذلك هى أنهم لا يريدون أن يعرِّضوا العلاقة القديمة بين المراسل المتخصص ومصدر أخباره للخطر .

وعندما تحدث خلافات بين المنشآت العامة ، قد تنعكس هذه الخلافات ويظهر أثرها فى صالات التحرير ؛ فعندما يسعى محرر مدينة ما أن يفهم

ما يحدث بين مسئول فى جهاز الشرطة ومحافظ المدينة مثلاً ، فمن المتوقع أن يحصل على بيان من المراسل الذى يغطى أخبار الشرطة عادة ، يختلف تماماً عن البيان الذى يحصل عليه من المراسل المتخصص فى تغطية أخبار مكتب المحافظ ومعاونيه .

وعندما يقوم مراسل إخبارى متخصص بإجازة ، ويقوم بعمله مراسل آخر ولو لمدة أسبوع واحد أو أسبوعين ، تنتج عن ذلك أشياء غريبة وطريفة . فقد اعتاد أعضاء مجلس إدارة مدرسة ما على عقد اجتماعاتهم فى وجود مراسل صحفى متخصص تربطهم به علاقة ود نمت عبر سنين عديدة . . وتستمر اجتماعاتهم بالأسلوب نفسه فى وجود مراسل بديل . . وتدهشهم ــ بل تحرجهم ــ التغطية الاخبارية لاجتماعهم الذى حضره المراسل البديل ، ويدركون أنه قد كتب عن كل ما كان يغفله المراسل المتخصص الذى عرفوه على مر السنين .

عدد قليل من المراسلين يتمتع بالقوة التى اتسمت بها شخصية ميل منشر أستاذ الصحافة الحالى بجامعة كولومبيا . فعندما كان مراسلاً صحفياً لجريدة فريزنو بى . ساعد فى كتابة سلسلة من المقالات أدت إلى عدم إعادة انتخاب عمدة المدينة سى . كال إيفانز . وعندما بدا واضحاً أنه لن يعاد انتخابه (هكذا تجرى أحداث القصة) ، دخل منشر مكتب العمدة ، وجلس أمام مكتبه ، ساندا قدميه على جدار المكتب ــ وكمن يقرر أمراً واقعاً ــ قال : « يبدو أنك قد توفيت » ويجب ملاحظة أن منشر لم يكن هو المراسل الصحفى الدائم فى مجلس المدينة .

وهناك الكثير الذى يمكن عمله للاستفادة من مواطن قوة نظام المراسل المتخصص الدائم ، وكذلك للحد من عيوبه : من الممكن لرؤساء التحرير أن يعملوا على تناوب المراسلين فى العمل فى الأماكن التى تصدر عنها الأخبار بصفة مستمرة ، ليضمنوا مستوى عال من الكفاءة فى الأداء فى هذا المجال ؛

وكـذلـك يجب آن يتنـاوب أكثـر من شخص العمـل فى مجال التحقيقـات الصحفية . . فالمحرر يجب أن يكتب قصة الخبر ، وهو واع تماماً باحتمال تحيز المراسل . أما المراسل الصحفى المتخصص الدائم فى موقع ما ، فيجب عليه أن يسعى دائماً لتحقيق علاقات موضوعية وعملية مع مصادر الأخبار التى تعمل فى ذلك الموقع ، علاقات أساسها الدقة والكمال فى أداء العمل ، وليس نشر ما يُرضى ويؤيد فقط . ولتحقيق نوع من التوازن فى ما يقدم من تغطية إخبـارية ، فمن الممكن استكـمال المعلومات التى يحصل عليها من المصادر التقليدية للأخبـار ، من المصادر التى نسميها المصادر غير التقليدية للأخبار .

العلاقات العامة والعاملون فى مجال الدعاية

إنه لأمر مثير للسخرية حقاً أن نرى مصادر الأخبار التى تزوِّد العاملين فى هذا المجال بكل هذا القدر من المعلومات ، هى نفسها فى موقف غير مستحسن تماماً ، مثل موقف هيئات العلاقات العامة ووكالات الدعاية .

فمعـظم المـراسلين الـذين قُدمت لهم المساعدات بواسطة العاملين فى العـلاقـات العـامة أو وكالات الدعاية يحملون آثاراً مؤلمة باقية ، أو ذكريات سيئة ، نتيجة لحصولهم على معلومات غير دقيقة أو غير متكاملة ، أو لمكالمات تليفونية لم يحصلوا على ردود عليها (عن قصد ؟) . . أو تم الرد عليها ، ولكن بعد فوات الأوان ، أو لعدم قدرتهم على الاتصال المباشر برؤساء مجالس إدارة الهيئات المعنية . ونتج عن هذا الوضع أن زادت الفجوة اتساعاً بين المراسلين والعاملين فى مجال العلاقات العامة ، وأصبح معظم المراسلين يقومون بدفع قيمـة ما يتنـاولـون من طعـام أو شراب ، كما أصبـح العديد من المؤسسات الاخبارية تدفع رسوم دخول مراسليها إلى ملاعب الكرة ، أو المسارح وغيرها من الأماكن التى يتحتم أن يوجد فيها المراسل لتغطية الأحداث ذات الأهمية الاخبارية الخاصة .

ومن ناحية أخرى ، نما شعور متزايد بالعداء للصحافة فى العديد من اجتماعات المجالس والهيئات . فهناك رؤساء مجالس إدارة ، ومسئولون عن التنفيذ فى جهات متعددة يرفضون الحديث إلى الصحافة ، لما يعتبرونه نوع من النقل غير الدقيق ، أو المحدود ، أو المتحيز للمعلومات . . « كل ما يريدون الكتابة عنه هو ما لدينا من معوِّقات واختلاسات » . . ، هكذا علَّق بأسى رئيس مجلس إدارة أحد البنوك ، بعد أن تجاهلت الصحافة إنجازاً معترفاً به على نطاق واسع للتخطيط العمرانى للمدينة ، قام به البنك الذى يتولى رئاسته .

وهذا الشعور المتبادل من الاستياء وعدم الثقة قد نما على مر السنين ، ومن غير المحتمل أن يتغير بين يوم وليلة . وهكذا يستمر عدد غير قليل من العاملين فى مجال العلاقات العامة ومن الصحفيين فى تمتعهم بكافة حرياتهم ، وهم بلا كفاءة وبلا فكر متزن ، وبهذه القدرات والأحكام يسيئون لمهنتهم وللجمهور أيما إساءة .

ومن ناحية أخرى ، هناك مئات من العاملين فى مجال العلاقات العامة والدعاية ، وكذلك فى الصحافة ، الذين قدموا من الأعمال الجيِّدة الدقيقة ما يستحق كل ثناء . . وقد حدث أن ترك بعض العاملين فى مجال الدعاية ، وكذلك فى مجال العلاقات العامة ، وظائفهم ، لأنهم رفضوا أن تكون لهم أية علاقة بمؤسسات على وشك أن تعمل فى تسويق منتج لم يُختبر ، أو هناك احتمال فى أن يكون خطراً ، أو لأن مبادئهم لم تسمح لهم باضفاء صفات لا أساس لها من الصحة ، على سلع معينة . وهناك أيضاً جامعات تعين أساتذة على مستوى عال من الأخلاق والمثل العليا ، ليقوموا بتدريس مادة العلاقات العامة وأساليبها ، وقد اتُّهم عدد قليل جداً منهم بتلقين الطلبة بعض فنون التمويه .

لماذا إذن يثار كل هذ الجدل والخلاف حول العلاقات العامة ؟ قد يكون أحد الأسباب هو « المشغولية الزائدة » التى تستغرق تماماً كل من المراسل والصحفى ، ورئيس مجلس الإدارة وممثل الصحافة ، مشغولية تعوقهم تماماً عن

التفكير الجدِّى فيما يمكنهم عمله لكى تصبح العلاقة بين مصدر الأخبار والمراسل الصحفى علاقة أفضل ، ينتج عنها أكبر فائدة للجمهور .

والعاملون فى مجال الأخبار قد لا يهتمون بموضوع العلاقات العامة أو يفهمون الكثير عنها وعن طبيعة العمل فيها . . فهى قد أصبحت بالنسبة لهم تعنى شيئاً واحداً : الدعاية ، وما يتبعها من شهرة واسعة . . وربما كان هناك عدد قليل من مراسلى الصحف الذين يفكرون فى العلاقات العامة من منطلق مفهومهم لدور الجمعية الأمريكية للعلاقات العامة ، تلك الجمعية التى كفلت الرعاية للعديد من مواقع الإنتاج ، كما تشرف على برنامج تحسين مستوى المنتجات وتدعِّمها . وقليلون هم الذين ينظرون إلى العاملين فى مجال العلاقات العامة على أنهم محققو شكاوى الجماهير ، الذين يطالبون دائماً بمزيد من المعلومات من أصحاب العمل ، كما يطالبونهم كذلك ببرنامج للإصلاح الاجتماعى . والمراسل الصحفى قد يتذكر رئيس مجلس الإدارة الذى حاول أن يخفى أمر ضآلة أرباحه فى الفقرة الأخيرة من بيان إخبارى مكون من أربع صفحات ، وعميد الكلية الذى طلب من سكرتيرته أن تقول إنه خارج المدينة ، والشركة التى ترسل له ٢٠٠ صفحة من الأخبار التى لا معنى لها كل شهر تقريباً ، أو مدير العلاقات العامة فى مؤسسة ما الذى ينفى خبر إدماج مؤسسته مع مؤسسة أخرى قبل ساعات قليلة من إعلان الخبر رسمياً .

والأخطاء التى يرتكبها رجال الأعمال ، وموظفو الحكومة ومسئولو الجمعيات ، فى علاقاتهم مع وسائل الإعلام غالباً ما تكون نتيجة ضغوط معينة . . ضغوط لحجب مشكلة ، أو لكى تبدو الأرباح فى وضع أفضل مما هى عليه ، أو للتغلب على منافس . . ومن الواضح أن كل هذا لا يبرر مثل تلك الأخطاء . . فهو تصرف يدل على طبيعة « الفكر البشرى » الذى صدر عنه البيان ، أو النشرة الاخبارية . وفى حالات كثيرة قد تجىء تلك القرارات على عكس ما نصح به مجلس العلاقات العامة تماماً .

والحقيقة هى أن العديد من رجال الأعمال الناجحين (والنساء) لا يعرفون كيف يديرون حواراً . . وتتضخم المشاكل عندما يعيِّنون هواة للقيام بتلك المهمة ، معظمهم مراسلون سابقون ، لا يتمتعون بالكفاءة المطلوبة لإرساء قواعد نوع من العلاقات العامة ذات الأهداف الواضحة والتى تتحقق على الأمد الطويل . وينتج عن ذلك أن يتجهوا إلى التعامل مع آلاتهم الكاتبة ، محاولين أن يبرهنوا على براعتهم الفائقة بحجم ما يصدرونه من نشرات وتصريحات للصحافة . . ومعظم ما يخرج عنهم يكون مصيره سلة المهملات الموجودة فى صالات التحرير . وفى بعض الأحيان بمظاريفها التى لم تفتح .

وتقييم المراسل الصحفى لمن يرسلون له أكداساً من المادة المكتوبة من المحتمل أن تدعمه الصورة التى رسخت فى ذهنه فى أثناء الدراسة والممارسة العملية فى قاعات التحرير ، عن العاملين فى مجال العلاقات العامة ، كمغتصبين للمساحات المطبوعة ، الذين باعوا أرواحهم مقابل بعض المال وكذلك فإن الدوريات التى تصدر عن الصحافة كثيراً ما تنشر مقالات ع المجهودات التى يبذلها بعض رجال الأعمال لمنع نشر بعض المعلومات القيمة ، أو عن بعض رجال الأعمال الذين يستردون إعلاناتهم بسبب قصص إخبارية معارضة لهم ، أو عن حملات من « بريد القراء » ينظِّمها العاملون فى العلاقات العامة .

وقد يكون أمراً مغرياً أن تصل إلى قرار بأن الصحفى لا يحصل على أية مكاسب من العاملين فى العلاقات العامة ؛ وعند تقييمنا لهذا الموقف قد تكون الحقيقة الوحيدة المؤكدة هى أن من يعملون فى مجال العلاقات العامة قطعاً لهم رسالة : أن يصرِّحوا بالقصة التى تريدها المؤسسة التى تدفع لهم أجورهم ، ويدعِّمون تلك المؤسسة . وهذه الرسالة لا تتعارض بالضرورة مع ما يفيد المراسل . . بل فى الحقيقة أن رجل العلاقات العامة الذى يستطيع أن يفيد

المراسل ــ وهذا يتضمن أن يمده بالمعلومات بصراحة وأمانة ــ هو أكثر العاملين فى هذا المجال قيمة لدى رؤسائه . فالمراسل الصحفى يفيد الجمهور فائدة أكبر إذا كان يعرف جيداً ويفهم برنامج العلاقات العامة الخاص بمؤسسة ما ، والعاملين فى تنفيذه . . وإنها لحماقة أن نقلل من قيمة هيئة ما أو من احتمال فاعلية أخبارها لمجرد مقولات تتكرر باستمرار عن العلاقات العامة بوجه عام .

وبذلك ، بينما يبدو من الصعب أن هناك موضوعية فى الحكم على القيمة النسبية للنشرات الاخبارية التى تنهال على مكاتب المحررين يومياً ، فمن المفيد أن نعتبر تلك النشرات أو التصريحات كبند واحد فقط من العلاقات بين العاملين فى مجال العلاقات العامة ومراسلى الصحف . . والمراسل الصحفى فى إمكانه أن يقوم بعدة أشياء ليجعل تلك العلاقات ذات فائدة للجمهور :

(١) أن يدرك أن رجل العلاقات العامة له رسالة (أن يروى القصة التى ترضى رؤساءه) ، ولكن عليه أن يدرك أيضاً أن تلك الرسالة لا تتطلب منه خدعة كبرى . . فالمعلومات الدقيقة عن منتجات شركة ما ، أو عدد العاملين فيها ، والأماكن التى تجد فيها منتجاتها سوقاً رائجة ، وبرامج تلك الشركة للخدمات العامة ، كل هذه المعلومات غالباً ما يستفيد منها القراء . . ورجل العلاقات العامة الكفء يمكنه أن يحصل عليها . وكذلك فإن مثل هذه المعلومات من الممكن أن تكون ذات فائدة وأهمية كبرى فى توجيه قصص أخبار الاقتصاد وتنمية وعى المستهلك ، وكذلك فى التأثير على الاتجاهات الاجتماعية السائدة .

(٢) إن على المراسل الصحفى أن يتعامل مع الظروف المحيطة بالموضوع الذى يجمع عنه الأخبار بقدر من الثقة ، وأن يتعرف على العاملين فى مجال العلاقات العامة به ، الذين قد يتعامل معهم بصفة منتظمة . وهناك فرق بين

العقلية المتفتحة ، والسذاجة . . تماماً كالفرق بين أن يكون المرء شكاكاً ، وكثير الأسئلة بدلاً من أن يكون متشائماً وغير مصدق لكل شيء . فالقارىء يتلقى خدمات أفضل من المراسل الصحفى المتفتح العقلية ، ولكن مع بعض الشك وكثير من الأسئلة . وكما هو الشأن عند التعامل مع مصادر الأخبار المختلفة ، فالحديث مع العاملين فى مجال العلاقات العامة يفيد المراسل الصحفى ، حتى فى أثناء الفترة التى لا يتعرض فيها لموضوع إخبارى معين ، أو يسعى إلى معرفة معلومات بعينها . فمثل هذه الاتصالات غير الرسمية قد تعطى المراسل فرصة للتفوق عندما يطرأ حدث إخبارى يدعو للمناقشة . ومع مرور الوقت تجعل من المراسل حكَماً أفضل على مدى مصداقية المصـ الذى يستمد منه الأخبار ، وذلك يؤدى بالتالى إلى فهمه للمجال الذى يعد فيه ذلك المصدر فهماً أعمق .

(٣) على المراسل أن يخبر محررى الأخبار بما يطرأ من أحداث ذات أهمية اخبارية بغض النظر عن مصدرها ، أو احتمال أن يحمل الخبر المنشور عنها صبغة الاعلان المجانى . . وقد يثير الكثير من العجب موضوع من أين تبدأ القصة الاخبارية . . فبداية حملة التشهير بفساد تجارة الغلال التى نال عنها جيمس ريسر جائزة بوليتزر ، كانت عندما قرأ تصريحاً اخبارياً صادراً عن وزارة الزراعة الأمريكية يتهم خمسة من المسئولين عن التفتيش على الغلال بمدينة هوستون بتكساس . . والمراسل الصحفى عندما يقرأ تصريحاً اخبارياً ، قد يرى فيه جانباً قد خفى تماماً على من قام بإعداده . وعلاوة على ذلك فإن أى تصريح يلقى الضوء على شخصية معينة يجب ألا يهمل بطريقة آلية كما لو كان مديحاً مبالغاً فيه . وعلى سبيل المثال فإن أية ابتكار فى الميكنة الزراعية قد يتضمن الكثير من الاحتمالات التى تؤثر فى اقتصاد الدولة وبنائها الاجتماعى .

(٤) يجب على المراسل أن يكون حريصاً فى تعامله مع التصريحات الاخبارية كما هو حريص بالنسبة لجمع القصص الاخبارية . . وهو موضوع

يبدو واضحاً لدرجة لا تحتمل التعليق . . ومع ذلك فهو أمر مألوف ومتكرر أن نرى فى « كولومبيا جورناليزم ريفيو » وغيرها من الدوريات مجموعة من القصص الاخبارية التى نشرت فى صحف مختلفة متطابقة تماماً ، بالحرف الواحد . . وجميعها إعادة حرفية لتصريحات رجال العلاقات العامة . وعملية إعادة صياغة التصريحات الاخبارية عملية هامة لأسباب كثيرة : ملاحظة المعلومات غير الدقيقة وحذفها يصبح أمراً محتملاً فى أثناء عملية إعادة الصياغة ، احتمال أكبر من لو سُجِّل التصريح وطُبع كما هو . . علاوة على أن إعادة الصياغة تجعل القصة الاخبارية تبدو مختلفة فى أسلوبها عن الأسلوب الذى استخدمه الآخرون . . بالاضافة إلى أن عملية إعادة الصياغة قد تستلزم الاتصال بالمصادر لطلب مزيد من المعلومات أو للاستفسار عما جاء فى التصريح من بيانات ، وغالباً ما ينتج عن تلك العملية (عملية إعادة الصياغة) أن تختصر المساحة المطلوبة لنشر الأخبار التى يتضمنها التصريح . . ومن حيث الكم فإن إعادة الصياغة تخدم مصالح القراء أفضل من نشر التصريحات كما ترد تماماً .

وملخص النقاط الأربع السابقة هى أن مسئولية تحديد ما يصل من أخبار إلى الجمهور هى مسئولية المراسل الصحفى ، وليست مسئولية رجل العلاقات العامة . فرجل العلاقات العامة من الممكن أن يكون مساعداً قيِّماً فى تلك العملية ، ولكن لا يجب أن يتحكم فيها أو يسيطر عليها .

الحضور فى موقع الأحداث ذات الأهمية الاخبارية

علاوة على حصول المراسل الصحفى على المادة الاخبارية من المحررين الدائميين المتخصصين ، ورجال العلاقات العامة ، فإنه يجمع الأخبار بحضوره فى أماكن الأحداث التى تعتبر ذات أهمية اخبارية : اللقاءات العامة ، الحوادث ، مباريات كرة القدم ، الحرائق ، المعارض الدولية ، معارض الزهور ، المظاهرات ، المؤتمرات . . وغيرها . وحضور المراسل فى

مثل هذه الأماكن أمر ضرورى ، فهى موضوع الكثير من الأخبار ، ووجود المراسل يتيح له فرصة معرفة الأخبار من موقعها ، بمشاهدة الحدث وملاحظته بدقة بدلاً من الاستماع إلى ما حدث من مصدر للأخبار . . وأهم من ذلك فإن قوة التغطية الاخبارية للحدث فى أثناء وقوعه تكمن فى التوقيت والتسجيل السريع ، واهتمامات الناس ، والقرب فى المكان ، والزمان .

وهناك بعض العيوب فى هذا الأسلوب المستخدم فى التغطية الأخبارية : أولاً ، فهو مثل أسلوب المحرر المتخصص الدائم فى مكان الأحداث ، لأن معظم تلك الأحداث هى اجتماعات أو غيرها مما سبق ذكره . وعند تحديد الأحداث التى يجب تغطيتها ، تعتمد قاعات التحرير على المقاييس نفسها التى استخدمت فى نظام المحرر المتخصص .

وكثير من مصادر الأخبار قد تعلّموا أن يتلاعبوا بمجال الأخبار ، مخترعين ما اصطلح على تسميته « الخبر الزائف » ، وهو خبر أعد خصيصاً لجذب العاملين فى مجال تغطية الأحداث . . وتتصدر المؤتمرات الصحفية قائمة « الأخبار الزائفة » .

والعيب الثالث هو أنها تجد فى وسيلة الإعلام تفاعلاً سريعاً ، وإسراعاً إلى حيث تجرى الأحداث لتسجلها . . والتأقلم مع الصراع فى مجال الأخبار وتعريف ماهية الأخبار مرتبطة بالصراع والاضطرابات ، يؤدى فى النهاية إلى هذا الشكل من التغطية الاخبارية .

بعد الاضطرابات الأهلية سنة ١٩٦٠ ، أدرك العديد من المديرين ومحررى الأخبار أن القراء والمشاهدين من الممكن أن تقدم لهم خدمات أفضل بنقل القضايا ، والاتجاهات ، والمشاكل التى تظهر فى المجتمع بدلاً من التغطية الاخبارية لما يحدث من اضطرابات نتيجة لبقاء المشاكل بلا حلول لفترات طويلة . وعلى سبيل المثال ، إن نظرة متفحصة للعامل فى مجال الأخبار فى أسباب ونتائج ومعالجة موضوع قيادة المخمورين للسيارات ، من الممكن أن

تصبح ذات فائدة للجمهور أكبر من مجرد سرد لقائمة اعتقالات المخمورين ، والحوادث التى تقع بسببهم وحالات الوفاة .

بينما يتجه الكثير من الملاحظات السابقة عن المصادر التقليدية للأخبار ، نحو السلبية ، يجب أن يكون واضحاً أن الاعتماد على مثل هذه الوسائل أمر ضرورى لا يمكن تجنبه . ومثل هذه الأساليب فى التغطية الاخبارية على أية حال يشكـل جزء فقط (جزء كبير حقاً) من الصورة الكاملة . ولكى تبدو الصورة أكثر كمالاً ودقة ، تم إدخال وسائل جديدة .

الصحافة المنضبطة

لقد ابتكر هذا الاصطلاح « الصحافة المنضبطة » ليمثل إدخال أساليب البحث العلمى الاجتماعى والسلوكى فى نقل الأخبار ؛ وفائدة استخدام مثل هذه الأساليب . وهذه المسألة تناقش حالياً عن اقتناع بأهميتها وبأنه قد حان الوقت لاستخدامها .

وقضية تحسين أساليب نقل الأخبار قد عُرضت بأسلوب جيد فى كتاب فيليب ماير « الصحـافـة المنضبـطة : تقديم مراسل صحفى لأساليب علم الاجتماع » ، وكتاب « دليل وسائل نقل الأخبار » الذى اشترك فى كتابته كل من ماكسويل ماك كومبز ودونالد شو ودافيد جراى .

وقد جاء فى الفصل الأول من كتاب ماير ، بعنوان « الحاجة إلى وسائل وأدوات جديدة » ما يلى :

> لقد كان من المعتاد أن يقال إن الصحافة هى التاريخ مكتوباً على عجل . . ولكى تستطيع الصحافة أن تلاحق التغير السريع المتلاحق للمجتمع ، يجب أن تصبح علم الاجتماع المتعجل . . وقوانينه الاساسية لا تختلف عن القوانين التى عملنا فى ظلها دائماً : العثور على الحقائق ، وتفسيرها ، وأن نقوم بهذا العمل بسرعة فائقة ،

ويلا مضيعة للوقت . فإذا كان هناك وسائل وأدوات جديدة تمكننا من القيام بهذه المهمة بقوة أكبر وفاعلية ودقة وبصيرة نافذة . . فيجب أن نستخدمها بكل طاقاتنا [2] .

ويكتب ماك كومبز عن تحديد أهداف عملية نقل الأخبار ، والمهام التى تقوم بها فى إطار دراسات علم السلوكيات :

إن مقدمتنا الأساسية المنطقية هى أن هذا التفسير سوف يزيد من جودة عملية نقل الأخبار بوسيلتين : الأولى : إن مناهج علم السلوكيات تتيح عالماً من الوصف الذى لا يصلح للاستخدام فى الأحاديث الصحفية التقليدية ، أو أسلوب استخدام الورق والقلم المتبع فى الأحاديث الصحفية . . . ثانيا : إن مما يعزز عملية نقل الأخبار ، استخدام أساليب علم السلوكيات التى تصل بالمراسل الصحفى إلى ما وراء الوصف . . إلى الشرح والتفسير [3] .

وهذه الأدوات والاساليب الجديدة التى يكتب عنها هؤلاء المؤلفون تشمل أبحاثاً للتقييم ، وعينات عشوائية ، وأساليب دقيقة لإجراء الأحاديث الصحفية ، وتجارب ميدانية .

وهناك سببان يدعوان المراسل الصحفى لأن يكون على علم بتلك الأساليب الجديدة : (١) إن استخدام تلك الأساليب من الممكن أن يؤدى إلى الحصول على نماذج أكثر دقة ، وينتج عنها تصنيف الرأى العام بأسلوب يدعو إلى الثقة . (٢) حتى لو لم يستخدم المراسل الصحفى تلك الأساليب ، فسوف يستخدمها غيره .

أما عن النقطة الأولى ، فمع انتشار استخدام أجهزة الكمبيوتر فى صالات التحرير ، وإمكانية الحصول على ساعات تشغيل بأسعار مقبولة ، فإن أبحاث

التقييم تصبح أكثر ملاءمة وذلك لإمكانية إرسال اثنين أو ثلاثة مراسلين لإجراء أحاديث صحفية مع رجل الشارع . هذا بالاضافة إلى إمكانية الحصول على نتائج أكثر دقة لأبحاث التقييم . ثم إن التجربة الميدانية قد تكون فى بساطة اختبار مدى كفاءة نظام الحدود الفاصلة فى مناطق توزيع البريد عن طريق إرسال خطابات تحمل أكوادا ذات خمسة أرقام وخطابات أخرى لا تحمل تلك الأكواد [4] .

ثانياً ، حتى لو لم تستخدم وكالات الأنباء تلك الأساليب ، فالمراسل الصحفى يجب أن يلم بها لمصلحة جمهوره . إن أى مرشح سياسى أو مجموعة من البشر اهتماماتها مشتركة تستطيع أن تصل فى الوقت الحاضر إلى حصر مجموع أصوات المقترعين ، كما تستطيع أن تضمن ــ بالمستندات ــ مساندة جمهور كبير لها . فالمراسل يجب أن يعرف الكثير عن أساليب الأبحاث ليستطيع أن يقيِّم الأحداث ذات الأهمية الاخبارية لنتائج تلك الأبحاث وأن يخبر قراءه ومشاهديه عن أسباب وجود بعض الشك فى بعض المواد المطروحة .

واستخدام أدوات ووسائل العلوم الاجتماعية والسلوكية ليس جديداً على صالات التحرير . وأهمية توظيف مراسلين ملمين بعلم الاجتماع والعلوم السياسية والاقتصاد ، وعلم النفس ، والتاريخ أمر تم إداركه منذ أمد طويل . فالمراسل الملم بكل ما سبق يمد جمهوره بتحقيق اخبارى أفضل ، واستخدامه للأدوات الجديدة ، وأساليب النظم الحديثة يبدو خطوة منطقية .

وإذا هاجمنا ما هو واضح وسخرنا منه ، فإن ما يسمى بالأدوات الجديدة ليس دواء لكل الأمراض . فاستخدام أبحاث التقييم والتجارب الميدانية يسبب مشاكل جديدة ، ولا يمحو مشاكل العلاقات بين المراسل الصحفى ومصدر الأخبار التى سبق ذكرها . وافتتان المراسل مثلاً بأبحاث التقييم قد يغمر القارىء والمشاهد بمعلومات لا علاقة لها بالموضوع . ولدينا الآن أبحاث إخبارية لحملات انتخابات سياسية تخبرنا بمن سوف يفوز لو تم ترشيح فلان

وفلان ، فى حالة إجراء انتخابات اليوم . . ولكن . . هذا الاحتمال ليس وارداً ، فليس هناك انتخابات اليوم ، ولكن قد تحدث بعد عامين . واستخدام الوسائل ذات الفاعلية الشديدة بصورة غير سليمة قد تنتج عنه أخطاء جسيمة فى نقل الخبر ، يصعب على الجمهور أن يدركها . . . ويبقى على عاتق المراسل عبء استخدام وسائل نقل الأخبار الجديدة بحكمة شديدة فى كل تحركاته . . حكمة كما يصفها ماك كومبز « تفوق كل وصف وكل تفسير » .

السجلات العامة وقوانين حرية التعامل مع المعلومات

تتضمن السجلات العامة تلك البيانات العتيقة المبتذلة ، ومستندات الحكومة التى يفترض أن تحفظ فى ملفات فى أماكن تحت أسطح المنازل ، أو تحت سطح من الروتين الحكومى المبالغ فيه ، وفى معظم الأحيان تكون السجلات العامة هى تلك التى يمكن للمراسل الصحفى الحصول عليها ، والاطلاع على محتوياتها فى متسع من الوقت يسمح بفحص مضمونها لاستكمال التغطية الاخبارية الخاصة ببعض المؤسسات العامة وموظفى الحكومة ؛ وكثيراً ما يكون المراسل الصحفى متعاطفاً مع مصدر الأخبار تعاطفاً يحول بينه وبين إدراك قيمة الفحص الدقيق للسجلات فى ضوء ما هو سائد من المعلومات ، لمعرفة مدى مطابقتها لما يقوله المتحدث الرسمى عن ظروف الإسكان مثلاً ، أو مستوى التعليم ، أو متوسط دخل الفرد فى المجتمع .

وقد زاد الاهتمام بمثل تلك السجلات العامة خلال السنوات القليلة الماضية ، وذلك بسبب العمل الذى قام به رالف نادر المحامى المدافع عن المستهلك ؛ وبسبب عدم الثقة فى موظفى الحكومة (أو إن لم يكن عدم ثقة — فهى رغبة المراسل التى تستحق الثناء فى تأكيد صحة البيانات الرسمية التى يصرح بها موظفو الحكومة) ، وكذلك بسبب حرية الوصول إلى تلك

السجلات ، التى كفلها القانون الفيدرالى لحرية التعامل مع المعلومات ، وكذلك قوانين « الملفات المفتوحة » و « الاجتماعات المفتوحة » .

فى سنة ١٩٧١ ناقش جوليوس دوتشا ، مدير مركز الصحافة فى واشنطن ، ما قام به رالف نادر ومعاونوه من أعمال ، فكتب أن ضَعْف المراسلين كان :

. . فى واشنطن وأماكن أخرى يتم توجيه الصحافة كلية نحو التفاعل مع الأحداث أو ، فى أحيان كثيرة ، نحو الأحداث الزائفة التى يتم اختراعها بحرص خصيصاً للصحافة . . ومئات المراسلين الذين يتكون منهم السلك الصحافى فى واشنطن مازالوا يقضون وقتاً غير محدود فى صياغة نشرات البيت الأبيض ومعلومات عن المناورات التى تحدث فى مجال التشريع . وأنباء مثيرة عن حجم ميزانية الحكومة التى سوف تذاع رسمياً غداً . . .

. . . وما يفعله نادر ورجاله لا يزيد على ما يجب أن يفعله المراسلون الأكفاء . . والعمليات التى يقوم بها هى عبارة عن ما يجب أن تكون عليه الصحافة الجيدة . . فيجب أن يأتى فى المقام الأول الدراسة المستفيضة لخلفية المشكلة أو القضية المطروحة ، وذلك من خلال الأبحاث فى الكتب والمقالات وتقارير الكونجرس والمستندات الرسمية . . ثم يأتى دور التحقيقات الصحفية مع مصادر رئيسية للأخبار وذلك لاكتشاف أكبر قدر من المعلومات عن الحالة الحاضرة . وأخيراً ، هناك النتائج التى يصل إليها والخطط التى يمكن إعدادها للتصرف

لماذا نجد الصحافة عادة غير راغبة فى القيام بعمل تحريات عميقة ، وهو أساس الأسلوب الذى يتعامل به نادر ومعاونوه مع القضايا العامة ؟ السبب الرئيسى هو الطريقة التى يتم بها توجيه المحررين والمراسلين نحو عملية نقل الأحداث [5] .

لقد ناقش هذا الموضوع بمنتهى العند كلارك مولنهوف مدير مكتب جريدة « دى موينـز ريجستر » وجريدة « تريبيون » فى واشنطن والحائز على جائزة بوليتزر سنة ١٩٥٨ لعرضه موضوع عمليات الابتزاز التى كانت تتم داخل النقابات العمالية ، ونادى بشدة بأن على المراسل الصحفى أن يبحث وينقب داخل ملفات السجلات الحكومية . وقد أشار إلى أن الوقت الذى يستغل فى قراءة بنود ميزانية الحكومة قد يكون أكثر فاعلية من الوقت الذى نحاول فيه إيجاد مصادر للأخبار من هذه الأماكن ممن يمكنهم الحصول على المعلومات مقابل بعض الاكراميات . ويقول مولنهوف إن ما يجعل هذا الأسلوب فى جمع الأخبار أكثر إنتاجية هو أن عدداً قليلاً من المراسلين هم الذين يستخدمون السجلات الحكومية استخداماً جيداً .

وعلى أية حال ، فإن استخدام الملفات الحكومية فى تزايد مستمر ، وذلك يرجع جزئياً إلى الأبعاد الجديدة التى أضيفت بسن قانون حرية الاطلاع على المعلومات واستخدامها سنة ١٩٦٨ ، والتعديلات التى أضيفت سنة ١٩٧٤ ونفذت فى ١٩ فبراير سنة ١٩٧٥ . وعند مراجعة النتائج التى ترتبت على تنفيذ ذلك القانون حتى منتصف سنة ١٩٧٦ ، لاحظ جورج لاردنر مراسل جريدة « واشنطن بوست » ما يلى :

إنه عمل مرهق ، وأكثر تكلفة من توقعاتنا . . ولكن فاعليته فاقت كل تخيلاتنا عندما تم سن ذلك القانون فى الكونجرس سنة ١٩٧٤ بالرغم من استخدام الرئيس فورد لحق الفيتو (التعديلات التى تمت سنة ١٩٧٤) . . .

ولأول مرة أصبح من واجب موظفى الحكومة أن يلبوا طلبات « أية فرد ! » فى الاطلاع على مستندات حكومية ، مع تحديد فترة معينة قاطعة لإنجاز هذا الطلب . ولأول مرة يواجه موظف الحكومة إجراءات صارمة إذا بدر منه أية تحكم أو محاولة امتناع [5] .

ولقد استخدم كل من روبرت وودوارد وكارل برنشتين قانون حرية الحصول على المعلومات واستخدامها فى الوصول إلى سجلات حكومية لكشف أن عضو الكونجرس عن ولاية أوهايو واين هايز الذى كان يتمتع بسلطات واسعة ، قد استخدم تلك السلطات فى خدمة بعض أقاربه وأصدقائه على حساب دافعى الضرائب . وبعد ما سببته له فضيحة علاقته الغرامية باليزابيث راى ، قرر ألا يعيد ترشيح نفسه فى انتخابات ١٩٧٦ ، واستقال من المجلس قبل موعد الانتخابات .

وقد أشار جيمس ريسر المحرر فى جريدة « دى موينز ريجستر » إلى أن ذلك القانون يحمى بعض الموظفين المدنيين . فالموظف الصغير الذى يتطوع بالإدلاء لأحد المراسلين ببعض المعلومات التى تضع إحدى المؤسسات العامة فى مركز سىء ، قد يعاقبه رؤساؤه . . ولكن إذا كانت تلك المعلومات تتفق مع قوانين الحكومة أو الولاية ، فالموظف يصبح لا لوم عليه .

بينما جرت أكثر التغيرات شمولاً خلال السنوات القليلة الماضية فى قوانين حرية استخدام المعلومات فى تعديلات سنة ١٩٧٤ التى شملت النظم الأساسية للحكومة ، يبقى هناك قلق شديد فيما يتعلق بالسجلات المكشوفة والاجتماعات المفتوحة على المستويين المحلى والدولى . . وفى النهاية فإن معظم المراسلين الصحفيين يعملون على المستويين المحلى والدولى ، وقرارات هذه المؤسسات الحكومية عادة تؤثر تأثيراً مباشراً فى المواطنين . فقرار مدرسة فى منطقة ما بأن تغلق القسم الابتدائى له تأثير فورى ومباشر أكبر من تأثير قرار يتخذه الكونجرس بزيادة حد الاعفاء الضريبى ١٥٠ دولار مثلاً .

كل الولايات ، فيما عدا رود ايلاند لديها صيغة قانونية للاجتماعات المفتوحة . . وكان آخرها خاص بنيويورك الذى طبق فى ١ يناير سنة ١٩٧٧ . . فخمسة وأربعون ولاية بها قوانين للسجلات المكشوفة . . وكل من ولاية ديلاوير وفيرمونت ووست فيرجينيا لا توجد بها مثل هذه القوانين ، أما

رودايلانــد وميسيسبى فكلاهما له بعض القوانين التى تسمح بالاطلاع على بعض السجلات على المستوى المحلى فقط [7] .

والمنـاقشـات المتعلقة بالملفات المكشوفة والاجتماعات المفتوحة مناقشات مبـاشرة ولكنهـا عميقـة . . فنـظام الحكم لدينـا يتـطلب مواطنين على علم بما يدور ، ولديهم قدر كاف من المعلومات . فإذا تم اطلاع هؤلاء المواطنين ، وكـانت الحكومة عرضة للمحاسبة ، فيجب أن تكون هناك وسيلة للوصول إلى القـرارات التى يمكن أن تأخـذهـا المؤسسات الحكومية ، وأن تتاح الفرصة للمشاركة فى اتخاذ تلك القرارات . وباختصار . . الشئون العامة يجب أن تدار بأسلوب عام .

ومثال نموذجى على ما سبق هو أن مقدمى الاقتراح بقوانين الاجتماعات المفتوجة والسجلات المكشوفة لا يريدون الاطلاع على شىء يصل فى غرابته مثلاً إلى سر تصنيع القنبلة « هـ » مثلاً ، بل هناك رغبة لمعرفة السبب الذى من أجله قُبـل تعـاقـد ما على عملية رصف أحـد الشـوارع مثـلاً بدلاً من تعاقد آخر . . أو لماذا يعين مدرس جديد للتربية الرياضية يضاف إلى جهاز مدرسـة ما بدلاً من مدرس للموسيقى . . أو لماذا وقع الاختيار على شخص بعينه ليحـل محل عضـو فى مجلس المدينة استقال قبل نهاية المدة . . قد تبدو كل هذه الأمور بسيطة . . ولكن مثل هذه القرارات تؤثر فى حياة الملايين من المواطنين يومياً . فالجمهور لديـه رغبة فى أن يعرف . ولكى نشبع رغبته ، يجب أن تكـون هناك القوانين الفعـالة التى تنادى بالاجتماعات المفتوحة ، والملفـات المكشوفة .

والقوانين تختلف من ولاية إلى أخرى . . ففى ولاية تينيسى مثلاً تنص قوانـين الاجتـماعات المفتوحة على أن كل اجتماع يضم شخصين أو أكثر من العـاملين فى جهـاز الادارة العليا لأى مؤسسـة عامة ــ إلا إذا تم بالمصادفة البحتة ــ يجب أن يكون اجتماعاً مفتوحاً . . وليس هناك مجال للشك فى هذا

الموضوع . ومن ناحية أخرى ، فالقانون فى ولاية أيوا ينص على أن الاجتماعات تبقى مفتوحة إلا إذا كانت أصوات ثلثي الأعضاء تنادى باجتماع مغلق ، لمناقشة موضوعات خاصة . . أو « لأسباب قهرية » ، بحيث تطغى على السياسة العامة التى تساند الاجتماعات المفتوحة . والأسباب « القهرية » التى تدعو إلى الجلسات المغلقة من السهل اختلاقها وتأليفها ، ومن الصعب مكافحتها فى ساحات القضاء .

إن وجود قانون لحرية التعامل مع المعلومات شىء ، ووضعه موضع التنفيذ شىء آخر . . فوجود قانون قوى يحمى الاجتماعات المفتوحة لا يساوى إلا القليل إذا لم تغط وسائل الإعلام بانتظام الاجتماعات التى تعقد فى مكاتب الولاية والمؤسسات المحلية ، أو لم تسع إلى تطبيق ذلك القانون كلما تم انتهاكه . فالجو الصحي لحماية حرية التعامل مع المعلومات يتطلب على الأقل تشريعاً جيداً ، وان يستخدم المراسل الصحفى ذلك التشريع بشىء من العدوانية ، كما يتطلب فهم الجمهور ومساندته للفلسفة التى تكمن وراء الاجتماعات المفتوحة والسجلات المكشوفة .

ولكى يستطيع المراسل أن يقدم تغطية اخبارية وافية ، فإن ذلك يستلزم أن يصل إلى سجلات الحكومة ، وأن يوجد فى الاجتماعات المفتوجة . . وهذا أمر مسلَّم به . . ولكن إلى أى مدى يتحتم عليه أن يصل إلى مصادر الأخبار السرية أو المجهولة ؟

المصادر المجهولة

إن موضوع قيمة التعامل مع مصادر مجهولة للأخبار من آن إلى آخر فى نقل الأخبار وأهمية تلك المصادر ، قد نوقش فى الفصل السابق كجزء من عرضنا لموضوع حماية مصادر الأخبار . والآن علينا أن نبحث فى المزيد من المشاكل التى يتضمنها التعامل مع هذا النمط من مصادر الأخبار .

وقد ناقش تشارلز سيب محقق الشكاوى فى « الواشنطن بوست » فى عموده الصحفى فى أغسطس سنة ١٩٧٥ ، موضوع التعامل المتزايد مع المصادر المجهولة . وقد أشار فيه إلى بحث قام به البروفسور هيج م . كلبرستون الأستاذ بجامعة أوهايو عن التعامل مع المصادر غير المعروفة .

إن إخفاء شخصية مصدر الأخبار . . هى خدعة تسد الطريق أمام الجمهور . . فالصحافة وكل من يعملون بداخلها يعلمون من الذى تسرب منه ماذا . . إلا الجمهور فيبقى فى الظلام .

منذ بضع عشرات من السنين كان « ناقل المعلومة » والمسئول الكبير من الطيور النادرة . ولكن الآن ، فإن هؤلاء العارفين ببواطن الأمور ، الحذرين ، ينتشرون فى كل مكان . . .

وقد أوضحت النماذج التى اختارها كلبرستون أنه كلما كبر حجم الجريدة ومركزها ومستواها ، زاد عدد المصادر المجهولة التى تتعامل معها . فكل من جريدتى « نيويورك تايمز » و« واشنطن بوست » استعانت بهم فى ٥٤٪ من قصصها الاخبارية فى أثناء الفترة التى أجريت فيها الدراسة . وقد تعامل معهم أيضاً أربع صحف كبرى أخرى فى ٣٦٪ من قصص الأخبار التى نشرتها ، ولكن ست صحف يومية استخدمت تلك المصادر فى ٣٠٪ فقط من قصصها الاخبارية .

وتدل دراسة كلبرستون على احتمال أن يكون ثلث القصص الاخبارية التى يقرؤها الجمهور الأمريكى معتمدة اعتماداً كاملاً ، أو جزئياً ، على مصادر أخبار معلومة لدى المراسل ، وقد تكون معلومة كذلك للمحررين ، ولكنها غير معلومة للجمهور [8] .

قد تكون مصادر الأخبار المجهولة شخصيات من موظفى الدولة أو من المصادر التقليدية التى توجد باستمرار فى أماكن وقوع الأحداث ، الذين — لسبب أو لآخر ، أو لأن ذلك أكثر ملاءمة لهم — يفضلون أن تكون أحاديثهم

غير رسمية ، وليست للنشر . وقد تعرض سيب لهذا الموضوع فى يناير سنة ١٩٧٦ :

المصادر غير المعروفة تشكّل جزءاً من مهنة جمع الأخبار ونشرها . ونادراً ما يحدث أن يمر يوم واحد من غير أن تظهر قصة واحدة على الأقل وهم طرف فيها . ولا يوجد سبب يدعونا إلى أن نظن أن هذا الوضع سوف يتغير .

ولكن هناك سؤالا من الممكن ــ بل من الواجب ــ أن يطرح : هل المراسلون والمحررون أصبحوا يرتاحون إلى التعامل مع هذه المصادر ؟ وهذا السؤال يؤدى بنا إلى بعض الأسئلة :

أليس من حق الجمهور أن يتوقع ان تتضمن القصة الاخبارية بعض المعلومات عن الدوافع وراء الإدلاء بتلك المعلومات ؟

لماذا لا تشير القصة على الأقل إلى مصدر عام ، حتى لو احتفظت باسم الفرد ؟ هل جاء الخبر من الكابيتول أومن وزارة الدولة أو من البيت الأبيض ؟ أومن عدة جهات أخرى ؟

هل يحاول المراسل محاولات جادة فى إقناع المصادر التى يتعامل معها بالسماح له بنشر أسمائها ؟ وإذا قرر أحد أعضاء الكونجرس أن من مصلحة الجمهور أن يفصح عن معلومة معينة ، هل يكون مستعداً أن يظهر اسمه معها ؟ وإذا لم يكن الأمر كذلك فهل يسمح بنشر التفسيرات التى تشرح سبب ذلك ؟

إن موضوع المصادر برمته يتصل اتصالاً وثيقاً بموضوع . . . التلاعب . فمادامت الصحافة على استعداد لقبول مادة من مصادر غفل من الأسماء ، وتقوم بطباعتها دون أن تفصح عن الظروف التى أتاحت الحصول على تلك المعلومات ، فسوف يزداد التلاعب ، وبذلك تسود « الأنباء المثيرة » التى تخدم بعض الأغراض الخاصة ــ سواء كانت تستحق الثناء أو لا تستحقه [9] .

إن اهتمام سيب بموضوع المصادر المجهولة أمر مفهوم جيداً . ومن الضرورى أن يتعامل المراسل الصحفى مع تلك المصادر المجهولة ــ دون جميع مصادر الأخبار التى تم بحثها فى هذا الفصل ــ بحذر شديد . أولاً ، كما يشير سيب ، فمن حق القارىء أن يحصل على معلومات كافية ، تساعده على تقييم مدى صدق الخبر . وثانياً ، قد يصبح مصدر الأخبار أقل شعوراً بالمسئولية إذا عرف أن المعلومة سوف تنشر غير مرتبطة باسم محدد .

وهناك أنماط مختلفة من المصادر المجهولة ، ومعظم المراسلين لديهم القدرة على التمييز بين المصدر الذى يطلب عدم ذكر اسمه ليحمى نفسه من أية تصرفات انتقامية قد تصدر عن الشخص الذى يفضحه الخبر المنشور ، والمصدر الذى يطلب الطلب نفسه ليتجنب أن تكون له أية صلة ببيان رسمى يفيده شخصياً ، أو ينتج عنه احتمال أن يتعرض لبعض النقد من منافس سياسى . وعموماً ، فإن إدراك الدافع وراء طلب عدم ذكر الاسم غالباً ما يكون أمراً ليس سهلاً .

ولكل من المراسل الصحفى والجمهور هناك بعض الارشادات التى يجب مراعاتها عند ورود اسم مصدر المعلومات ، بالاضافة إلى ما ذكره سيب وهى :

(١) يجب على المراسل أن يوثق ويثبت المعلومات الذى يحصل عليها من مصدر لا يذكر اسمه ، حتى لو استعان بمصادر أخرى منفصلة عن المصدر الأساسى تماماً ، وبلا ذكر أسمائها أيضاً . وهذا هو ما كان يمارسه كل من وودوارد وبرنشتين فى جزء كبير من فضيحة ووترجيت . فقد سعيا إلى الحصول على المعلومات من مصدرين أو ثلاثة مصادر منفصلة تؤكد ما حصلا عليه من معلومات من المصدر الذى طلب عدم ذكر اسمه .

(٢) يجب ذكر اسم المراسل الصحفى فى رأس المقال الذى يعتمد فيما يقدم من معلومات على مصدر مجهول . فمسئولية مضمون القصة الاخبارية ــ بما

فيها من تعليقات المصادر المجهولة ــ يجب أن تقع على عاتق شخص معين . وعـلاوة على ذلـك فإن وجود اسم المراسل على رأس القصة الاخبارية يعتبر مقياساً يستخدمه القارىء فى تقديره لمدى صدق القصة (وقد أشارت دراسات كلبرستون أن الجمهور لا يعتبر المصادر المجهولة أقل صدقاً من غيرها) .

(٣) إن الموافقة على عدم ذكر الاسم يجب ألا تكون هى الحل الأول الذى يلجأ إليه المراسل عند تعامله مع مصدر للأخبار . . فإذا بدا المصدر متردداً فى الاجـابة عن سؤال ما ، فلدى المراسل بدائل أخرى غير أن يقول بلا تفكير « حسناً . . سوف أستبعد اسمك عن الموضوع إذا أردت » . فإذا كان المصدر من موظفى الحكـومـة ، فإن مسئـوليته تجاه الجمهور يجب أن تؤكد . . وإذا لم يكن المصدر مسئولاً رسمياً ، فعلى المراسل أن يظهر بوضوح عدم رغبته فى استخـدام تعليقات من مصدر لا يرغب فى ذكر اسمه . وسواء كان الدافع تواضـع مصـدر الأخبـار ، أو رغبته فى تأمين ذاته ، أو دوافع أقل أهمية من ذلك ، فإن العديد من مصادر الأخبار يغتنمون أية فرصة تسنح لهم لكى ينشر لهم تصريح بدون ذكر أسمائهم . . والمراسل الصحفى يجب ألا يغرى المصدر بوجود هذا الاحتمال منذ أول بادرة منه تعبر عن هذه الرغبة .

وهنـاك العـديد من الأسباب المقنعة التى تدعو إلى التعامل مع مصادر أخبار دون ذكر أسمائها ، ولكن قائمة تلك الأسباب لا تشتمل على تسهيل مهمة المراسل الصحفى .

الأقليات والمعارضون كمصادر للأخبار

تميل مصـادر الأخبار التقليدية ــ وحتى بعض المصادر غير التقليدية ــ بثقلها نحو مساندة الأوضاع السائدة ــ أو ــ حتى لا تنقص من قدرها ــ وجهة نظر الأغلبية ، أو الوضع الراهن .

فمنذ ثلاثين عاماً جاء فى تقرير اللجنة التى قامت بدراسة موضوع حرية الصحافة ، ما ينص على أن أحد متطلبات هذا المجال هو « عرض صورة تمثل العناصر التى تتكون منها قطاعات المجتمع » . وكان مما أثار قلق تلك اللجنة أن بعض القطاعات كانت مكررة بشكل تعوزه السمات المميزة :

اذا ظهر الصينيون فى صور متتابعة كمدمنين للمخدرات ، وفاسدين ، تتسلط عليهم الروح الحربية ، تتكون صورة للصين تحتاج فى مقابلها إلى صورة أخرى لكى تتوازن . وإذا ظهر الزنجى فى الصور المنشورة على صفحات المجلات السريعة التوزيع فى جميع أنحاء البلاد كخادم فقط ، وظهر الأطفال باستمرار فى التمثيلية الاذاعية وقحين ومزعجين ومتمردين ، بدت صورة كل من الزنجى والطفل الأمريكى مشوهة تماماً [10] .

وخلال السنوات القليلة الماضية لم يقتصر القلق على وجود تلك الصورة المتكررة فى نقل الأخبار ، ولكنه تعداها إلى ضمان الوصول إلى مجال الإعلام ، حتى يتسنى للأقليات الحصول على فرصتها فى المشاركة فى اتخاذ القرارات التى تؤثر فى حياتها ، وبالتالى تعمل على تحسين مصيرها . وقد أصبح الاهتمام بشئون الاقليات بنداً ضرورياً فى الستينيات ، عندما اكتشف المحررون فى قاعات التحرير بعد الاضرابات التى حدثت فى بعض مراكز المدن ، اكتشفوا فى أوراقهم ما يلى : (١) أن عدد المراسلين الصحفيين العاملين فى مجال الأقليات قليل جداً . (٢) أن مجال الإعلام لم يقم بتغطية كاملة ووافية لمشاكل الأقليات وقضاياهم التى أدت إلى شعور تلك الأقليات بالقلق والتوتر . ونتيجة لذلك بدأ إعداد البرامج المختلفة لتمرين وإعداد أفراد من تلك الأقليات للعمل فى مهنة الصحافة [11] .

ولفظ الأقليات لا يعبر فقط عن الأقليات بالنسبة للون ، أو الجنس أو مرحلة العمر . فبالمفهوم العام ، استدعى الوضع أن يعمل مجال الأخبار على ضمان وصول من تمسهم قرارات الحكومة إلى مجال الصحافة ، بالاضافة إلى الضمان الحالى الذى يسمح بذلك لصناع القرارات .

وبهذا الهدف ، ناقش البروفسور جيروم بارون الموضوع مطالباً بتفسيرات جديدة للتعديل الأول لقانون حرية التعامل مع المعلومات . وقد استند بروفسور بارون فى طلبه باختصار إلى ما يلى : أن حرية الحديث ، وحرية الصحافة التى أتاحها التعديل الأول ليست كافية لضمان سماع صوت المواطنين . فالصبغة التجارية التى طغت على مجال الإعلام ، وضعف المنافسة بين الصحف ، أدى إلى أن تركزت القدرة على التأثير فى عدد قليل من البشر . ويضيف بارون إن النظام التشريعى والنظام القضائى يجب أن يضمنا ــ ليس فقط حرية الحديث والصحافة ــ بل عليهما أن يؤمنا سهولة وصول المواطن إلى وسائل الإعلام ، وهى وسائل نقل التعبير عن المشاعر والأفكار :

> من الضرورى ايجاد أشكال جديدة للحوار . وما أقترحه هو غرس هذه الأشكال الجديدة على البناء القائم الآن . أنا لا أستبدل سيطرة الحكومة على مجال الإعلام بالوضع الحالى ، حيث يمتلكها أفراد . ولكنى أقترح أن يتحول هذا المجال ليصبح أكثر ترحيباً بالآراء المختلفة والمتنوعة ، من كونه مجرد مجال تذكر فيه الموضوعات بقانونية وبطريقة محددة ، وصيغ مكررة . فتبادل الآراء لن ينمو بشكل طبيعى بدون بعض الاجراءات . . وقد أصبحت العوامل الاقتصادية والتكنولوجية تشكّل قيداً على نبض الأفكار حتى أصبح الآن مبدأ التعامل مع حرية التعبير بمبدأ عدم التدخل . . ضرب من المستحيل . ولكن الإيمان بالمنطق والعقل . . مازال أساساً لكل مؤسساتنا . . وما لم نكن مستعدين أن نتخلى عن هذا الإيمان ، فيجب علينا أن نبذل اهتماماً

كبيراً بوسائل وصول الأخبار إلى الجمهور ، وبمحاولة تحقيق هذا الهدف من خلال تشريعات جديدة وباستخدام القوانين الحالية بصورة أكثر قوة وفهماً [12]

وبينما يناقش بارون موضوع الحصول على ضمانات تشريعية وقانونية تتيح سهولة الوصول إلى المعلومات ونقلها ، فقد ناقش توم ويكر المحرر فى جريدة « نيويورك تايمز » الموضوع بطريقة مختلفة من خلال تحميل المسئولية للمراسلين والمحررين ، ولكنه توصل إلى نتيجة مشابهة :

يجب علينا . . أن نتغلب على ــ أو على الأقل نقلل من ــ اعتمادنا على المصادر الرسمية للأخبار ، وهو الأمر الذى أعتبره أخطر نقطة ضعف فى الوضع المهنى والفكرى للصحافة الأمريكية . . فرئيس اللجنة الديمقراطية القومية عندما يتحدث عن الحزب الديمقراطى مثلاً ــ يجب أن يحصل على قدر من تصديق الجمهور لما يقول أكبر مما يحصل عليه رجل سياسة غير معروف . . ورئيس الدولة ، من الطبيعى والمتوقع أن يعرف عن العلاقات الخارجية أكثر مما يعرف عضو فى الكونجرس أو أستاذ جامعى . . وكل هذه الافتراضات لاتدعمها بالضرورة مذكرات رسمية . [13]

ومثل شديد الوضوح للأسباب التى من أجلها لا تدعم مثل هذه الافتراضات بالمذكرات الرسمية هو ــ كما قال ويكر ــ حرب « فيتنام » . . ولكن المشكلة ذات أهمية محلية ، وليست ذات أهمية عالمية :

ان الكثير مما يحدث فى بلادنا اليوم ، والكثير مما هو حيوى لحياة البشر لا تتضمنه بنود الدستور ، وبذلك ليس له متحدث رسمى يدافع

عنه . فإذا التزمت بتغطية ما يقوله المصدر الرسمى ، فمن المؤكد أنه سوف يفوتك الكثير من الأشياء الهامة التى تحدث فى مكان آخر . وهذا ما حدث مثلاً ، عندما فات على الصحافة تغطية ومتابعة واحد من أكبر عمليات الهجرة فى التاريخ البشرى ، هجرة السود من الجنوب إلى المدن ، حتى فجر الموضوع واتس سنة ١٩٦٥ . وحتى قدم منها رالف نادر موضوعاً مثيراً ، فقد فاتنا تسجيل وقع هذا الموضوع منذ مولده على وعى الجماهير . وللسخرية ، فقد صنعنا من شخصية رالف نادر نوعاً من المصادر الرسمية . وهذا هو الأسلوب الذى نريد أن نعمل به [14] .

وعبارة « الأسلوب الذى نريد أن نعمل به » تدخل لأول مرة فى نظام مصادر الأخبار التى تغطى أبناء الأقليات مشاكل تتشابه مع المشاكل المرتبطة بالمصادر التقليدية للأخبار . فمثلاً فى التاريخ الموجز للتغطية الاخبارية التى تمت لحركة المطالبة بالحقوق المدنية ، تكرر بصفة مستمرة ذكر موضوع البحث عن « القائد الأسود » . فمن كان هذا المتحدث الرسمى عن الأمريكيين السود ؟ مارتن لوثر كنج ، إلدريدج كليفر ، ويتنى يونج ، رالف أبرناثى ، ستوكلى كارمايكل ، هـ . راب براون ، هاى نيوتن ، جيمس فارمر ، روى ويلكنز ، جوليان بوند ، وجيسى جاكسون ؟

لقد كانت التغطية الاخبارية عبارة عن صور إعلامية جديدة للبرنامج الاستعراضى التليفزيونى « لكى تقال الحقيقة » . . مع طلب وسيلة الإعلام من القائد الأسود الحقيقى « أن يتفضل بالوقوف » . وتم إدراك النقطة ببطء . . إنه قد لا يوجد القائد الأسود الذى يستطيع أن يتحدث بلسان كل السود تماماً كما لا يوجد متحدث من البيض ، أو حتى عضو فى مجلس المدينة ، يستطيع أن يتحدث بلسان مجلس المدينة كلها . وقبل أن يدرك بعض المراسلين هذه النقطة ، ظهر بوضوح وبكل الثقة قدرة القائد الأسود فى الحديث بلسان

غيره من السود ، بمدى العنف الذى استخدمه فى مناقشته . . فإن قول قائد أسود بأن المدينة كلها يجب أن تُحرق عن آخرها هو قول جدير بالتصديق ، وقول أصيل ، أكثر من قول من يقنع بحرق عمارة واحدة .

قد يبدو الأمر طريفاً بعض الشىء ، ولكن مجال الأخبار قد عانى من بعض الصعوبات فى وقت ما ، عندما بدأ فى التأقلم مع التحول من التعامل مع المصادر التقليدية إلى التعامل مع المصادر غير التقليدية للأخبار . ويجب أن يشعر كل من المراسل والجمهور ببعض الرضا ، إذا نشرت أخباراً تحمل وجهات نظر متعددة ومتنوعة . فعملية العثور على الناطق الرسمى الذى يمثل كل وجهة نظر تهم مجموعة من البشر أمر صعب . . وعلينا أن نتذكر أنه لا يمكن لوسيلة إخبارية ــ باستثناء عدد قليل جداً من القصص الاخبارية ــ أن تعتمد على مصدر واحد للأخبار . ومن الممكن التعامل مع خليط من المصادر الاخبارية ، منها المراسل المتخصص المقيم فى أماكن الأحداث الهامة ، والملفات الحكومية وغيرها ، لنوصل المعلومات إلى القارىء والمشاهد ، وهو وضع أفضل من الاعتماد على شخص واحد أو شخصين مشكوك فى معلوماتهم ، وهم يمثلون إما وجهات نظر مقبولة فى المجتمع ، أو وجهات نظر متطرفة .

إن مشكلة تحديد من هو المصْدر « القانونى » للخبر ، أو نوعية الخبر الذى يصلح للنشر ، مثلها مثل المشاكل المختلفة المرتبطة بنقل الأخبار ، نوعية من المشاكل التى لا تختفى تماماً من حياتنا . . فهى تعاود الظهور من آن إلى آخر ، ولكن فى إطارات مختلفة . وموضوع التغطية الاخبارية للارهاب والتصرفات الارهابية من الموضوعات التى تثير تساؤلات مستمرة فى مجال الأخبار . وبالطبع فإن من قصص الأخبار الرئيسية فى السبعينات وما بعدها كل ما يتعلق بالأعمال الارهابية ، وذلك لزيادة عدد الطائرات المخطوفة ، وعدد الرهائن المحتجزين ، وعدد القتلى . وذلك مع تزايد التهديدات التى تصدر لمحاولة

الحصول على مزيد من المساندة لأسباب الخلافات المتعددة . وموضوع تغطية أخبار المنظمات الارهابية موضوع معقد ، وخاصة عند دراسته فى ضوء مفهوم شرعية الاوضاع الذى نوقش على الصفحات السابقة . فعند دراسة التغطية الاخبارية للارهاب ، قد تفيدنا التعليقات التالية :

إن حالة القلق العام التى تسود دولة ديمقراطية يجب تهدئتها عن طريق طبع المنشورات المناسبة التى تعبر عن ضرورة اتخاد الاجراءات المضادة الحاسمة (ضد الإرهاب) ، حتى يتسنى شرح وتوضيح الوسائل السيكولوجية ، والتكتيكات الحربية التى يستخدمها الارهابيون بهدف إضعاف مساندة الشعب للحكومة ولهذا الموضوع أهمية خاصة متى ــ وإذا ــ أصبح من الضرورى الاستعانة بالتدخل العسكرى ، الأمر الذى قد يتحتم حدوثه فى ضوء الأسلحة المتطورة التى فى متناول يد الارهاب المعاصر .

وكثيراً ما استخدم الارهاب الإعلام لصالحه . . فليس هناك شىء يستطيع أن يخدم هدف الارهاب أكثر من إجراء حديث جذاب ومثير مع رجال مقنعين وتصويره خصيصاً للتليفزيون إن من واجب من يعملون على حماية الجمهور ممن يحملون السادق ويلقون بالقنابل أن يجندوا العاملين فى مجال الإعلام ليقدموا صورة عادلة توضح ضرورة وجود إجراءات مضادة (للارهاب) وذلك حماية للصالح العام فلا يمكن السماح للارهابيين بالهرب ، تحت زعم أنهم المتحدثون الرسميون باسم مجموعات من البشر المقهورين [15] .

إنها تعليقات استفزازية . . وقد أثيرت تساؤلات كثيرة عندما اعتبرت وسائل الإعلام كسلاح للحكومة تستخدمه ضد الارهاب . ومن ناحية أخرى ، فقليلون هم المعترضون على الرأى الأخير بأنه لا يمكن السماح

للارهابيين بخداع الجمهور ، ومحاولة إقناعه بأنهم يتمتعون بتعاطف ومساندة واسعة النطاق ، إذا كانوا غير صادقين :

إن دليل التليڤون الذى يقدم غالباً تعليقات واعية عن المسائل المتعلقة بوسائل الإعلام ، كتب هذه التعليقات عن الإرهاب والتليفون :

وعلى كل الأحوال ، فإن الجماعات الارهابية مازالت تقفز مرحاً على الساحة العالمية ، وتواجه مؤسسات الأخبار التليفزيونية باستمرار بضرورة اتخاذها لقرارات حارمة تحدد كيفية التعامل معها ولا يمكن لناقد جاد أن يقول إن الرقابة هى الحل . . فادا منع التليفزيون تقديم الأخبار الحقيقية لعمليات العنف ، فسوف تتولى الموضوع إشاعات متعددة ، فتصبح المشكلة أسوأ . . « وعندئذ يفوز الارهابى » . . هكذا يقول أحد مسئولى وزارة الداخلية . إذا ختقنا حرية الصحافة فى محاولاتنا لتخفيف وضع الارهاب نكون كما لو منعنا جميع طائراتنا المدنية والتجارية من الطيران ، لتجنب الاحتمال القائم بالاختطاف [16].

وبعض النقاد يثيرون تساؤلات عن الدور الذى تؤديه وسائل الإعلام :

ويقول الدكتور ديفيد هابارد الطبيب النفسى : إن تسعين فى المائة من هذه الأحداث محاولات تم نسج خيوطها بواسطة مجموعة من العقليات المضطربة التى تسعى لخلق سمعة وشهرة ، فهم لا يفكرون ــ مجرد تفكير ــ فى النسف أو الاختطاف إلا إذا تأكدوا من وجود منبر يتحدث عنهم . . فإذا اختصرت وسائل الإعلام ما ينشر عنهم ، وفضلت عليه أخبار خفيفة واعتبرتها أكثر أهمية ، فلن يُقدم هؤلاء الرجال على أية نوع من التصرف [17] .

فاذا بدت تعليقات د. هابارد مألوفة ، فهى كذلك . فقد نشرت هذه

التعليقات فى أماكن متعددة ، وتم انتشارها عندما حذر نقاد الصحافة من أن المقالات التى تنشر عن المجرمين تشجع التقليد ، وأن العنف الذى يقدم على شاشات التليفريون يدفع الأطفال لتقليد ما يرون ، وأن التغطية الاخبارية للأحداث تجعل من المستحيل على المرء أن يحصل على محاكمة عادلة ، وأن التغطية الاخبارية التى تقدم للأقليات من المجموعات المزعجة تعمل على تشجيعهم على اقتراف المزيد من التصرفات الهدامة ، وأن كل المشاكل والاضطرابات كان من الممكن إزالتها والتغلب عليها لو لم تعرها وسائل الإعلام كل هذا الاهتمام . وقد رفض المجلس القومى للأخبار رفضاً قاطعاً الاقتراح بأن وسائل الإعلام يجب ألا تغطى الأعمال الارهابية . . ففى اجتماعاتها التى عقدت فى مارس سنة ١٩٧٧ فى « دى موينز » قال أعضاء المجلس إنهم يرفضون بشدة « كموضوع لا يمكن مجرد التفكير فيه » . . أى تلميح بأن مثل هذه الأنشطة لا يجب نقلها لأنها من المحتمل أن تصبح « معدية » . . وأضافوا :

> إن أخطار الكتمان بديهية : الشك فى الجزء الذى منع نشره ، والدافع وراء مثل هذا الغموض . . وتساؤلات عن نوعيات أخرى من الأخبار من الممكن كذلك أن يكون قد منع نشرها تحت زعم أن ذلك للصالح العام . . أما المخاطرة الكبرى الممكنة فهى تكمن فى انتشار الشائعات المغرضة العنيفة والمبالغات والتقارير الشفوية الاستفزازية .

لا يمكن إنكار أن هناك بعض التغطيات الاخبارية غير المسئولة قد تم نشرها . . ولكن من الممكن أن تكون التغطية الاخبارية لاجتماع مجلس المدينة تغطية غير مسئولة بنفس الدرجة تماماً مثل التغطية الاخبارية لأحداث اضرابات أو عملية اختطاف . والآثار المباشرة الواضحة قد تكون أقل سهولة فى ملاحظتها ، ولكن فى نظام حكم أساسه جمهور ناخبين على علم بالكثير

فإن استمرار نشر وسائل الإعلام تغطية إخبارية لأحداث هامة بأسلوب غير مسئول يصبح أمراً هدّاماً ومهلكاً .

والحل ليس التقليل من حجم ما ينشر من أخبار أو وقفه تماماً ، ولكن الحل هو تحسين مستوى ما يقدم من تغطيات إخبارية . . ومكونات هذا المستوى الأفضل يجب أن « تتضمن » أساليب تعامل جديدة متنوعة مع مصادر الأخبار ومراسلين صحفيين أكثر حساسية لإدراك الفروق الدقيقة التى تكتنف عملية نقل الأخبار .

مطالعات مقترحة

Bagdikian, Ben H. *The Information Machines: Their Impact on Men and the Media*. New York: Harper and Row, 1971.

Baker, Robert K., and Ball, Sandra J. *Violence and the Media,* Staff Report of the National Commission on the Causes and Prevention of Violence. Superintendent of Documents, U.S. Government Printing Office, 1969.

Balk, Alfred, and Boylan, James, eds. *Our Troubled Press.* Boston: Little, Brown and Company, 1971.

Becker, Howard S. *Outsiders: Studies in the Sociology of Deveiance.* New York Free Press, 1963.

A Free and Responsible Press. New York: Twentieth Century Fund, 1973.

Ghiglione, Loren, ed. *Evaluating the Press: The New England Daily Newspaper Survey.* Southbridge, Mass.: *The Evening News,* 1973.

MacDougall, A. Kent, ed. *The Press: A Critical Look from the Inside.* Princeton, N.J.: Dow Jones Books, 1972.

Merrill, John C., *Existential Journalism.* New York: Hastings House, 1977.

Merrill John C., and Barney, Ralph D. *Ethics and the Press: Readings in Mass Media Morality.* New York: Hastings House, 1975.

Park, Robert E. *On Social Control and Collective Behavior*. Edited by Ralph H. Turner. Chicago: University of Chicago Press, 1967.

———. *Society: Collective Behavior, News and opinion*. Glencoe, Ill.: Free press, 1955.

ملاحظات

ملاحظات الفصل الأول

1. A June 17, 1976, lecture sponsored by the Newspaper in the Classroom project of the *Des Moines Register* and *Tribune* and the Drake University Bicentennial Committee.

ملاحظات الفصل الثانى

1. Walter Lippmann, "Stereotypes," *Public Opinion* (Free Press, New York, 1965), pp. 54-55.

2 . Raymond Bauer, "The Initiative of the Audience," *Journal of Advertising Research,* June 1963, pp. 2-7.

3 "The Mind of an Assassin," *First Tuesday,* broadcast on NBC television network June 3, 1969.

4. The role of James Gordon Bennett in developing the modern concept of news is discussed in most journalism history textbooks and also in "Park Revisited: A New Look at the 'Natural History of the Newspaper'," a paper read to the history division of the Association for Education in Journalism, Aug. 1967, by Professor Walter Gieber of San Francisco State University.

5. One good McCarthy reference is Richard H. Revere, *Senator Joe McCarthy* (Harcourt, Brace and Company, New York, 1959).

6. The seventh edition of *Interpretative Reporting* was published by Macmillan in 1977. A Golden Anniversary edition is planned for the early 1980s.

7. Commission on Freedom of the Press, *A Free and Responsible Press* (University of Chicago Press, Chicago, 1947).

8. Leon V. Sigal, *Reporters and Officials: The Organization and Politics of Newsmaking* (D. C Heath and Company, Lexington, Mass., 1973), p.7, quoted from a panel discussion at the Institute of Politics, Kennedy School of Government, Harvard University, May 19,1970.

9. Telephone interview with James McCartney when he was city editor of the *Chicago Daily News,* May 6, 1968.

10. Jules Witcover, *White Knight: The Rise of Spiro Agnew* (Random House, New York, 1972), p. 364.

ملاحظات الفصل الثالث

1. "The Case of the Plastic Peril," *CBS Reports,* Broadcast on CBS television network Oct. 19, 1974, with CBS News Correspondent Morton Dean.

2. Bob White, "Maryland: Getting the Governor," *Columbia Journalism Review,* July/August 1975, pp. 12-14.

3. Eugene J. Webb and Jerry R. Salancik, *The Interview or The Only Wheel in Town,* Journalism Monograph No. 2, Association for Education in Journalism, University of Minnesota, Nov. 1966; Eugene J. Webb et al., *Unobtrusive Measures: Nonreactive Research in the Social Sciences* (Rand McNally & Company, Chicago, 1966).

4. "Controversial Comments," *Wall Street Week # 435,* Mar. 28, 1975, Maryland Center for Public Broadcasting, Baltimore.

5. Richard W. Lee, ed. *Politics and the Press* (Acropolis Books, Washington, D.C., 1970), p. 59.

6. *Meet the Press,* Aug. 10, 1976, Vol. 19, No. 32, Merkle Press Inc., Washington, D.C.

7. Webb and Salancik, pp.28-34.

ملاحظات الفصل الرابع

1. Ben Hecht, *Gaily, Gaily: The Memoirs of a Cub Reporter in Chicago* (Doubleday, New York, 1963), p. 226.

2. Roy Fisher, "The Challenging Role of the Newsman," *Nieman Reports,* Sept. 1972, p. 14.

3. William L. Rivers, *The Adversaries* (Beacon Books, Boston, 1970), p. 69.

4. Hecht, p. 2.

5. When reporters confront such situations as informing a news source about a death —particularly by phone —it may be advisable to determine whether the news source is alone, perhaps even to phone a neighbor to assist the person in a time of grief. It does no good to hang up or to cut the conversation short and not share at least some information with the news source. A reporter might ask some questions, depending on the circumstances, or make arrangements to phone back or phone someone else.

6. Dennis Cassano, "AP suspends man for giving FBI information," *Minneapolis Tribune,* Apr. 16, 1974, p. 1B.

7. Harley Sorensen, "AP photographer in Wounded Knee case is l," *Minneapolis Tribune,* Apr. 20, 1974, p. 6A.

3. Michael Gartner, "Editing a family newspaper in a campaign rated ,' " *Des Moines Sunday Register,* Oct. 10, 1976, p. 1-D.

9. Jack Miller, "Public official speaks his mind," *Minneapolis Tribune,* Sept. 15, 1969, p. 1A.

10. *Minneapolis Tribune* Staff Memo No. 54, Sept. 19, 1969 (which included excerpts from staff memos of June 13, 1969, Aug. 1, 1968, and Sept. 15, 1969).

11. "Judge Reverses Himself; Dismisses Privacy," *Editor & Publisher,* Jan. 8, 1977, p. 10.

12. *Michael S. Virgil v. Time, Inc.*, United States District Court for the southern District of California, 527 F 2d 1122.

13. Benjamin Franklin, *The Autobiography of Benjamin Franklin* (Random House, New York, 1950), p. 24.

14 David Gordon, "The Confidences Newsmen Must Keep," *Columbia Journalism Review,* Nov/Dec 1971, p. 15.

15 , Clark R. Mollenhoff, *Game Plan for Disaster* (W. W. Norton and Company, New York, 1976), p. 66.

16. Ibid., p. 72.

17. *Congressional Record*- Senate, Jan. 11, 1973, S442.

18. Leonard W. Levy, *Freedom of Speech and Press in Early American History· Legacy of Suppression* (Harper and Row, New York, 1963), pp. 287-88.

19. State legislatures that have passed shield laws include those in Alabama, Alaska, Arizona, Arkansas, California, Delaware, Illinois, Indiana, Kentucky, Louisiana, Maryland, Michigan, Minnesota, Montana, Nebraska, Nevada, New Jersey, New Mexico, New York, North Dakota, Ohio, Oregon, Pennsylvania, Rhode Island and Tennessee

20. Paul Lazarsfeld and Robert Merton, "Mass Communication, Popular Taste and Organized Social Action," *Readings in social Psychology*, rev. ed. (Holt, New York, 1952), p. 76.

21. James Lemert, "Status Conferral and Topic Scope," *Journal of Communication*, Mar. 1969, p. 4 .

ملاحظات الفصل الخامس

1. *Behind the Lines* — Guest: Jimmy Breslin, Host: Harrison E. Salisbury, broadcast nationally on the Public Broadcasting Service Mar. 2, 1976.

2. Philip Meyer, *Precision Journalism* (Indiana University Press, Bloomington, 1973), pp. 14-15.

3. Maxwell McCombs, Donald Lewis Shaw, and David Grey, *Handbook of Reporting Methods* (Houghton Mifflin Company, Boston, 1976), p. ix.

4. Ibid pp. 265-66.

5. Julius Duscha, "Nader's Raiders Put the Washington Press Corps to Shame," *The Progressive*, Apr. 1971, pp. 24-26.

6. George Lardner, Jr., "Freedom of Information Act: Burdensome, costly, much used," *Washington Post*, July 25, 1976, p A3.

7. Information on state and local Freedom of Information laws is from the 1976 *Report of the Advancement of Freedom of Information Committee* of the Society of Professional Journalists, Sigma Delta Chi, and from "A Summary of Freedom of Information and Privacy Laws of the 50 States," *Access Reports,* Richard Henry, ed., Washington, D.C. My thanks to Professor William Francois of Darke University's School of Journalism for his help here and in other sections dealing with communication law.

8. Charles Seib, "Concealing news sources: Game stacked against the public?" *Washington Post* News Service, *Des Moines Register,* Aug. 25, 1975. The Culbertson study is reported in the ANPA News Research Bulletins No. 3, May 14, 1975, and No. 1, May 19, 1976.

9. Charles Seib, "Is press manipulated by its 'Confidential' sources?" *Washington Post* News Service, *Des Moines Register,* Jan. 21, 1976.

10. Commission on Freedom of the Press, *A Free and Responsible Press* (University of Chicago Press, Chicago, 1963), p. 26.

11. Information regarding journalism careers for minority group members is available from American Newspaper Publishers Association, PO Box 17407. Dulles International Airport, Washington, D.C., 20041; and The Newspaper Fund, Inc., PO Box 300, Princeton, N.J. 08540.

12. Address on "Access — The Only Choice for the Media," given at the annual lecture on Law and the Free Society at the University of Texas School of Law, Dec. 10, 1969, and reprinted in 48 *Texas Law Review,* 766, 769-71 (1970). This particular quote is from *Mass Media Law and Regulation* by William E. Francois (Grid, Inc., Columbus, Ohio, 1975), pp. 355-56.

13. Tom Wicker, "The Reporter and His Story: How Far Should He Go?" *Nieman Reports,* Sept. 1972, pp. 15-16.

14. Ibid., p. 17.

15. "Terrorism Can Be Stopped," *Skeptic,* Jan/Feb 1976, pp. 46-47, excerpts of a report by the Institute for the Study of Conflict, London.

16. Neil Hickey, "Terrorism and Television, The Medium in the Middle," *TV Guide,* Aug. 7, 1976.

17. Ibid.

CONTENTS

رقم الإيداع ١٩٨٩/١٩٠٣

مطابع الدار الهندسية